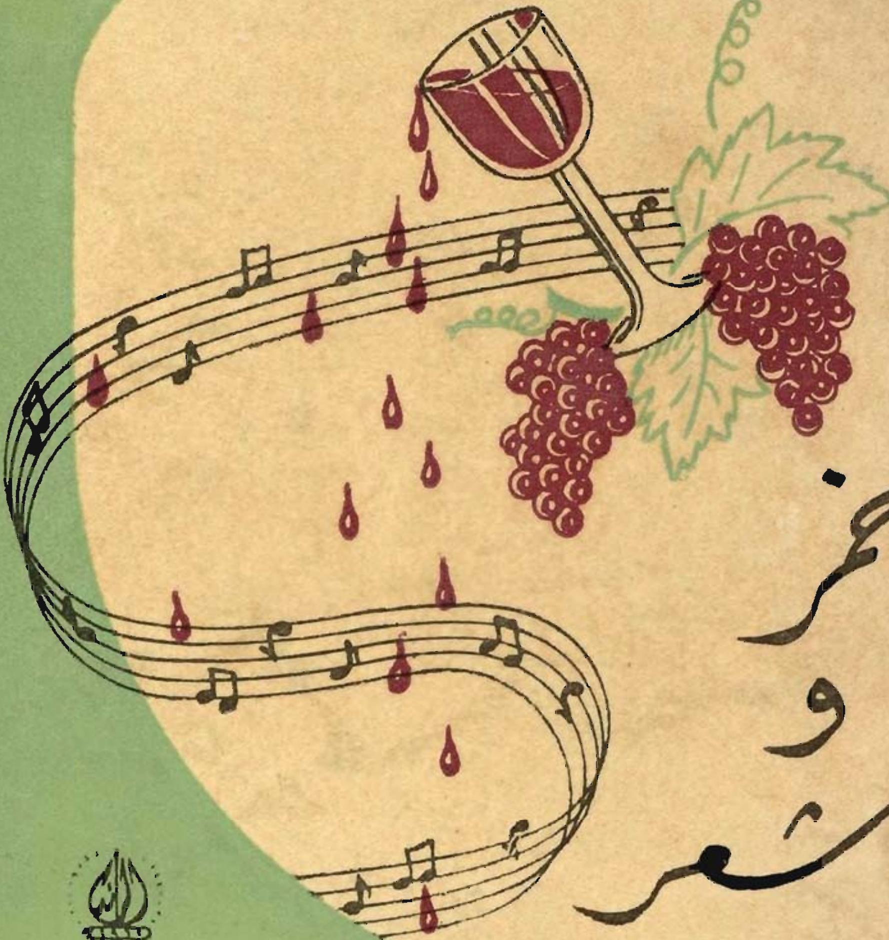سامي الكيالي

خمر و شعر



دار الرائد

حلب

الناشيء

سامي الكيالي

خمر وشعر

الطبعة الاولى ، كانون الثاني ١٩٦٣

دار الرائد

حلب

الاهداء

الى امام الشاربين و « ابي نواس » القرن العشرين ..

الى الرجل الذي لم يمنعه لهوه وعبثه ومجونه ان يكون في طليعة المجاهدين والذي ما زال يحتفظ بعزيمة الشباب ويلقب « زعيم الشباب » رغم دلوفه الى الثمانين ..

الى الذي امتزجت نفسه بحب الموسيقا العربية فعاش ايامه الطوال في أجوائها وجمع لحونها وانغامها وادوارها وكتب عنها المجلدات ..

الى الذي جعل من قصره ندوة الساسة والزعماء والقادة المحنكين ، وملتقى الظرفاء والادباء والشعراء والفنانين والذين طالما استمتعوا بلياليه العذاب التي يضفي عليها من روحه وحسه وذوقه ما يجعل سحرها يفوق بروعته سحر ليالي الف ليلة وليلة .

الى الانسان الذكي الفؤاد الذي لا تفارق النكتة طرف لسانه فيتمثل فيه ظرف دمشق وانس دمشق وروح دمشق ..

الى الصديق

فخري البارودي

اهدي هذه الصفحات

س ...

خمر وشعر

ا ـ الخمر ... ما لها وما عليها .

ب ـ رأي الجاحظ في الخمر .

١ ـ من رسالة الجاحظ في الشارب والمشروب .

٢ ـ من رسالة الجاحظ الى الحسين بن وهب في مدح النبيذ .

ج ـ خمريـات

قصائد ومقطوعات من الشعر العربي في الخمر منذ العصر الجاهلي الى القرن العشرين .

١ ـ منذ العصر الجاهلي ...

٢ ـ خمريات من الأندلس

٣ ـ من خمور الصوفيين

٤ ـ خمريات من الشعر المعاصر .

الخمرُ... ما لها وما عليها

ما هي الخمر ؟

وما مفعولها ؟ وما ضررها ؟ وما نفعها ؟ وما حكمها في الاديان السماوية ؟ وكيف صوّرها الشعراء ؟

هذا ما أريد ان اتناوله في هذا البحث .

وقد يعجب الذين خالطوني وعرفوني ان أتحدث عن شيء أجهله تمام الجهل .. ولكن لا عجب .. فالانسان مولع دائماً بالحديث عن الاشياء التي يجهلها .. والخمرة بالنسبة لي شيء غامض لأني لم اذق طعمها قطّ .. ولن اذوقها ابداً .. وكلما جلستُ مع اخوانٍ يتعاطوْن رحيق الكأس سلوةً لهم من هموم الحياة ، مؤمنين بمذهب ابي نواس والخيّام ، وقفت اتأمل حالاتهم ونشوتَهم وسكرَهم والنهاية التي ينتهي اليها البعض ممن لا يستطيعون ان يمسكوا توازنهم ، فأحمد ربيّ على عصمته ،وكثيراً ما يأخذون عليّ جهلي اسرار الحياة حين لا اتعاطى معهم هذه الكؤوس المشعّة ـ حين لا أسكر سكرهم وأعربد عربدتهم ، وأثور ثورتهم ، وأجنّ جنونهم ، فأضحك همـاً ، وألاطفهم بكلمات أعذبَ من الخمر ، وأرقّ من السحر . . فينتشون ، ويشربونَ كأسي مرات ومرات .. وانتشي معهم لحظات ..

ثم أنقضّ برفق أو بعنف على ما تحتويه مائدة الشراب من أطايب المأكولات ولذيذ « المزّات » ! غير آخذ بقول الشاعر الذي يتفلسف بالحق او بالباطل حين يقول :

— وفي الخمر معنىً ليس في العنب —

. . .

الخمر في اللغة :

الخمر : لفظ منقول من مصدر خَمَرَ الشيء بمعنى ستره وغطاه .. يقال : خمرتُ الشيء اذا سترته ..

ومنه خِمار المرأة .. وكل شيء غطّى شيئاً فقد خَمَرَه .. ومنه : خمّروا آنيتكم .

فالخمرة تخمر العقل .. أي تغطيه وتستره .

ومنه قولهم : دخل في غِمار الناس وخمارهم .. اي في مكان خافٍ .. فلما كانت الخمر تستر العقل وتغطيه سميت بذلك .

وقيل : انما سميّت خمراً لأنها تُركت حتى أدركت ..

كما يقال : قد اختمر العجين .. اي بلغ ادراكه ، وخمر الرأي ، اي ترك حتى يتبين فيه الوجه ..

وقيل ايضاً : انما سميّت الخمر خمراً لانها تخالط العقل .. من المخامرة .. وهي المخالطة ..

فالمعاني الثلاثة متقاربة .. فالخمر تُركت ، وخُمرت حتى

ادركت ، ثم خالطت العقل .. ثم خمرته . والاصل الستر ..

وفي المصباح : الخمر اسم لكل مسكر خالط العقل .

هكذا يعرف اللغويون الخمرة ..

اما العلماء فيقولون :

« .. الخمر في مصطلح العلم هو المادة المؤثرة المسكرة الموجودة في المواد السكرية والنشائية المائعة المتخمرة كخمر العنب ، ونبيذ الشعير والارز والتفاح وغيرها » ..

وكما يذهب الكثيرون الى تعداد أضرارها وآفاتها وسمومها فهناك مَن يقول : إن منافعها كثيرة .. نعم ، من الاطباء من جعلها « غذاءً خيراً من الحنطة والعسل ، ومنهم مَن صيّرها ترياقاً فيه شفاء الروح والجسد ، ومنهم من ذهب الى انها تحرق الاجسام ولا تبقي على الارواح .. تهلك الحرث ولا تذر النسل .. فليت شعري أي هذه الاقوال الصحيح .. وأيها اهدى للحق ؟ ومَنْ مِن هؤلاء الرجل المصيب .. و من منهم المخطىء ؟ كلهم مصيب على حد قول الشاعر :

— رأيت بعينها ورأت بعيني —

لان كلا منهم نظر الى المسكرات بعين عقيدته الموروثة .. (١)

---

(١) الدكتور اسعد الحكيم : مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ٣ ج ٥ ص ٣٥٨ .

وكأن الاعشى قد عبّر عن رأي الطب في خالتي نفعها وضرّها منذ الف واربعمائة سنة حين قال :

وكأسٍ شربت على لذةٍ
وأخرى تداويت منها بها

هذا ، « وقد ألف الناس الخمرة منذ الاف السنين وعاقرها بعضهم حتى خامرت عقله ولبه ، وامتزجت بلحمه ودمه ، واصبحت عنصراً ضرورياً من لوازم حياته .. فهي ماؤه وغذاؤه ، وهي راحه .. وهي ريحانه .. تجارتها أروج تجارة ، وصناعتها اعظم صناعة .. حتى من الامم العظمى مَن جعلها ثمرة حرثه وزرعه .. وقد عمّ الخطب بها حتى بات شربها مظهراً من مظاهر المدنيـة والحضارة ، وجفاؤها ضربـاً من ضروب التوحش والغباوة » ..

ويقول علماء الاجتماع :

« انه لم يصب الانسان بضربةٍ أشدّ من ضربة الخمر ، ولو عمل احصاء عمّن في مستشفيات العالم من المصابين بالجنون والامراض المعضلة من الخمر ، وعمّن انتحر وقتل غيره بسبب الخمر ، وعمن يشكو من آلام عصبية ومعدية ومعوية بسبب الخمر ، وعمن أورد نفسه موارد الافلاس بسبب الخمر ، وعمن تجرّدَ من املاكه بيعاً وغشاً من الخمر لبلغت حداً مريعاً نجد كل

نصح إزاءه صغيراً ، فما هي الا بلية تقع على رأس من قضى الله بها عليه من عباده (١) .

. . .

والخمرة قديمة ، كما قلنا ، ولا يعرف الزمن الذي مُني بها الانسان ..

في حُلبة «الكُميت» : قيل ان اول من عصرها أبليس لقابيل واولاده ..

وفي حياة الحيوان للدميري : ان آدم اول من غرس الكرم، وان ابليس ذبح عليها طاووساً وقرداً واسداً وخنزيراً فشربت دماء هؤلاء الاربعة ، ولذلك اتصف شاربها حين يسكر بهذه الاوصاف الاربعة: خُيَلاءً وزَهْو كزُهو الطاووس وخُيلائه، ومرح ورقص كمرح القرد ورقصته ، وعربدة وقوة كقوة الاسد ، ثم انعقاص كانعقاص الخنزير .

وفي حلبة الكميت ايضاً :

ان نوحاً اول من زرع الكرم .

ولعلّ هذا الرأي مأخوذ من التوراة . فقد جاء في سفر التكوين من التوراة ، في الاصحاح العاشر ، في العدد العشرين والحادي والعشرين : « وهكذا ، ابتدأ نوح يحرث الارض ، وغرس كرماً ، وشرب الخمر ، فسكر » .

. . .

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين ج ٣ ص ٧٨٧ .

تحريم الخمر :

هذا ، وبالنظر لجسيم اضرارها فقد جاء تحريمها في جميع الكتب السماوية ..

في الانجيل الشريف :

« ان السكارى لا يدخلون ملكوت السموات »

وقال أشعيا في الفصل الخامس :

« ويل للقائمين من الغداة في طلب المسكر » .

وكتب بولس الرسول الى اهل رومية :

« لنسلكن سلوكاً لائقاً لا بالقصوف والسكر ، ولا بالمضاجع والعهر .. »

كما كتب بولس نفسه الى اهل كورنتيه :

« لا السكيرون ، ولا الشتّامون ، ولا الخطفة يرثون ملكوت الله » .

وكتب أيضاً :

« كفى ما سلف من الزمان اقضاء هوى الامم بالسلوك في العهر والشهوات وسرف الخمر والقصوف والمنادمات وعبادة الاوثان الرجسة » .

وهذه الاقوال صريحة بتحريم المسكرات لضررها وان اباحت قليلها للنشوة وازالة المتاعب ، او لضرورات صحية

او لمناسبات اجتماعية كتحويل السيد المسيح الماء خمراً في عرس قانا الجليل ، وقول داود في المزمور ١٠٣ :

« الخمر تفرّح قلب الانسان » .

وقول الرسول بولس الى تلميذه تيموثاوس :

لا يكن شرابك الماء فيما بعد ، بل خذ قليلا من الخمر من أجل معدتك وامراضك المتواترة »

. . .

وفي القرآن الكريم

« يا أيها الذين آمنوا انما الخمرُ والميسرُ والانصاب والازلامُ رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تُفلحون »

الآية ٩٠ من سورة المائدة

. . .

« انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ، ويصدّكم عن ذكر الله ، وعن الصلاة . . فهل انتم منتهون »

الآية ٩١ من سورة المائدة

. . .

« يَسئلونَكَ عن الخمر والمَيسر . . قل فيهما إثم كبير ومنافِعُ للناس ، وإثمُهما أكبرُ من نفعها »

الآية ٢١٩ من سورة البقرة

. . .

كانت الخمرة قبل ظهور الاسلام مباحة ، وكان الناس مولعين بشربها .. وهي لهم حلال .. ثم ان عمر بن الخطاب ونفراً من الصحابة قالوا :

يا رسول الله أفتنا في الخمر ، فانها مُذهبة للعقل ، مسلبة للمال .. فنزلت الآية :

« يسألونك عن الخمر والميسر .. قل فيها إثم كبير ومنافع للناس » .

فلما نزلت هذه الآية تركها بعض الناس وقالوا :

لا حاجة لنا فيما فيه إثم كبير .. ولم يتركها بعض الناس وقالوا : نأخذ منفعتها ونترك إثمها . . فنزلت هذه الآية : « لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى » .. فتركها بعض الناس وقالوا: لا حاجة لنا فيما يشغلنا عن الصلاة ، وشربها بعض الناس في غير اوقات الصلاة .. حتى نزلت هذه الآية :

« يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان » .

فصارت حراماً عليهم حتى صار يقول بعضهم : ما حرّم الله شيئاً اشدّ من الخمر . (١)

. . .

ومن الروايات الطريفة التي تذكرها كتب الادب هذه

---

(١) تفسير القرطبي ج ٦ ص ٢٨٦

الحادثة التي جرت مع الاعشى الشاعر ، وهو شيخ شعراء الخمر في الجاهلية ، ويكاد يكون اكثر شعره في الخمر ، حتى قيل إنه لو جمع ما قاله الجاهليون شعراً في الخمر ووضع في كفة ، ثم قوبل بما قاله الاعشى لوجدت كفته ترجح رجحاناً مبيناً على كفة الجاهليين عامة ..

فقد سمع هذا الشاعر السكّير بظهور الديانة الاسلامية وبرسالة محمد ، وكان بعيداً عن مكة .. فما كان منه الا ان نظم قصيدة جديدة لا في الخمر بل في مدح محمد .. وركب ناقته ، وأخذ يقطع الفيافي لاعلان اسلامه . وبينا هو في الطريق لقيه بعض المشركين وقالوا له :

الى اين انت ذاهب ؟ فأخبرهم بانه يريد محمداً ..

فقالوا : خير لك ان لا تقابله .. فأنه يأمرك بالصلاة ..

فقال : ان خدمة الربّ واجبة ..

فقالوا : انه يأمرك باعطاء المال الى الفقراء ..

فقال : اصطناع المعروف واجب ..

فقيل له : انه ينهى عن الزنا ..

فقال : هو فحش وقبيح في العقل ، وقد صرت شيخاً فلا احتاج اليه ..

فقيل له : انه ينهى عن شرب الخمر ..

هنا وقف قليلا وقال : امّا هذه فأني لا أصبر عليه ، ورجع في الحال وقال :

أشرب الخمر سنة كاملة .. ثم أرجع اليه فأسلم ، وانصرف.. وقد مات في عامه ذاك ولم يعد الى محمد .

وأظن انه حين عاد شرب كثيراً .. واكثر من الحدّ .. اي اراد ان يأخذ زاده منها مدى الحياة .. فما زال يعبّ ويعبّ بالكبير وبالصغير ، وفي نفسه منها علالات ، حتى مات في سنته تلك .

ويقول الرواة إن الاعشى هو أشعر ما يكون حين يسكر .

• • •

ويذهبون في تصوير ولعه بالخمر الى أبعد من هذا، فيزعمون ان بعض ولاة اليمامة سأل عن داره فدلّ عليها ، وسأل عن قبره فأخبر بأنه في فناء الدار ، فقصد الى هذه الدار فاذا هو رطب ، فلما سأل عن علة رطوبته أخبر بان الفتيان يجتمعون حول القبر فيشربون ، وقد جعلوه مَجلِسَ رجلٍ منهم ، فاذا جاء دوره صبّوا فوقه الكأس .

وكان قيس بن عاصم المنقري شرّاباً لها في الجاهلية .. ثم حرّمها على نفسه . . وكان سبب ذلك انه غمز ابنته وهو سكران .. وسبّ أبويه ، ورأى القمر فتكلم كلاماً مزرياً ، وأعطى الخمّار كثيراً من ماله ، فلما افاق أخبر بذلك فحرّمها على نفسه وفيها يقول :

وجدت الخمر جامحةً وفيها
خصال تفضح الرجل الكريما

فلا والله أشربها حياتي
ولا أدعو لها ابداً نديما
ولا أعطي لها ثمناً حياتي
ولا أشفي بها أبداً سقيما
فأن الخمر تفضح شاربيها
وتجشمهم بها أمراً عظيماً
اذا دارت حمياها تعلت
طوالع تسفه الرجل الحليما

وفي رواية ان هذه الابيات لأبي محجن الثقفي قالها في تركه الخمر .. وهو القائل :

اذا مت فادفني الى جنب كرمة
تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني
اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها

وروى بعضهم انه رأى قبره وقد نبتت عليه ثلاثة اصول كرم وقد طالت واثمرت .. وهي معروشة على قبره ، وقد

كتب عليه هذا قبر ابي محجن .

قال الراوي : فجعلت اتعجّب واذكر قوله :

— أذا متُّ فادفني الى جنب كرمة —

الخمر والشجاعة :

وعن ابن قتيبه : ان العرب الجاهليين كانوا يشربون الخمر لتزيدهم جرأة وشجاعة ، وحتى بعض المسلمين قد اصطبحوا بالخمر يوم بدر لتزيد حماستهم اشتعالاً (١) .

وقال حسان بن ثابت شاعر النبي في جاهليته :

ونشربها فتتركنا ملوكاً

وأسداً ما ينهنهنا اللقاء

وحاول ابو حفص القريعي ان يستعيض عن الخمر بشرب اللبن فأورثه المغص ووجع البطن .. ففي كتب الادب انه قد هجر النبيذ مذ اقتنى الميعزى ، وشرب لبنهن المذيق ، فوجده يوجع بطنه ، ووجد النبيذ كان صديقه :

قد هجرت النبيذ مذ هن عندي

وتمززت رسلهن مذيقا

فوجدت المذيق يوجع بطني

ووجدت النبيذ كان صديقا

(١) كتاب الاشربة ص ٢٨ ـ ٢٩

يعد النفس بالعشي مناها

ويسل الهموم سلاً رفيقاً (١)

وكان سحيم بن وثيل الرياحي يرى جمال الحياة في اشعة الخمر، وحين لامته زوجته «حدراء» لانفاقه امواله على الخمر خاطبها بقوله:

تقول حدراء ليس فيك سوى الخم

ر معاب يعيبه أحد

فقلت اخطأت، بل معاقرتي الخم

ر وبذلي فيها الذي أجد

هو الثناء الذي سمعت به

لا سيد مخلدي ولا ابد

ويحك لولا الخمور لم أحفل العي

ش ولا ان يضمني لحد

هي الحيا والحياة واللهو، لا

انت، ولا ثروة ولا ولد

فقد فضّل الخمر على زوجه وماله وولده!

(١) البيان والتبيين ج ٣ ص ٣٠٦ تمزت: تمصصت. مذيق: لبن ممزوج بالماء.

هذا ، وقد تفنن العرب في وصف الخمر ، كما تفننوا في تعداد اسمائها ، ويدلنا تعداد اسمائها على انها كانت كثيرة الانواع عندهم كما هي عليه اليوم .

فقد سميّت « خمراً » لأنها تخامر العقول فتخالطها ، ويقال لها «القهوة» لانها تقهى عن الطعام والشراب .. يقال أقهى عن الطعام واقهم عنه اذا لم يشتهه . .

ومن اسمائها « الشمول » : سميّت بذلك لان لها عصفة كعصفة الشمال ، وقيل لانها تشمل القوم بريحها .

ومنها « السلاف » : واصله من السلف وهو المتقدم من كل شيء .

ومنها « القرقف » لان شاربها يقرقف اذا شربها اي يرعد .

ومنها« الراح » لانها تكسب صاحبها الاريحية اي خفةالعطاء.

ومنها « العقار » لانها عاقرت الدن ..

ومن اسمائها « المدامة » و « المدام » لانها داومت الظرف التي انتبذت فيه .

و « الرحيق » ومعناه الخالص من الغش .

وقيل « الصافي » ، وقيل « العتيق » ..

و « الكُميت » سميّت بذلك للونها اذا كانت تضرب الى السواد .

و « المشعشعة » وهي المزوجة .

و « الصهباء » وهي التي عصرت من العنب الابيض .

و « الشموس » شبّهت بالدابة التي تجمح براكبها .

و « الخندريس » وهي القديمة .

و « الخانية » و « الماذية » و « الحميّا » و « والمعتقة » وغيرها من الاسماء .. ولن اعدد اكثر من هذا فحسبي ان اقول ان الفيروزابادي صاحب القاموس المحيط وضع كتاباً عنوانه : « الجليس الأنيس ، في اسماء الخندريس » ذكر فيه الف اسم للخمرة ، واستشهد بألف بيت من شعراء العرب ..

فعلى مَ تدلّ كثرة هذه الاسماء ؟

انها تدلّ على شيء واحد وهو ان العرب كانوا مولعين بالخمرة ولعاً شديداً لم يقف عند العصر الجاهلي بل تعداه الى مختلف العصور . فقد وصفها الشعراء وصفاً بليغاً ـ وصفوا فيها حالاتهم ونشوتهم وما تركته في حياتهم العقلية من أثر يمثّل لنا الحياة العابثة ـ حياة اللهو والطرب التي تتلألأ أشعتها من بريق الكؤوس..

. . .

وقد حدثنا النويري في « نهاية الأرب » احاديث طريفة عن الخمر واسمائها ، واخبار من تنزه عنها في الجاهلية ، ومن حدّ فيها من الاشراف . ومن اشتهر بها ولبس ثوب الخلافة بسببها ، وما قيل فيها من جيد الشعر ، وما قيل في وصف آلاتها وآنيتها ، وما قيل في مبادرة اللذات ، وما وصفت به المجالس ، وغير ذلك من هذه الطرف التي تصوّر لنا المجتمع العربي ـ اريد مجتمعات اللهو والطرب التي لم يخــلُ منها عصر من عصورنا الماضية ـ اصدق تصوير .

ونقف قليلاً مع النويري يحدثنا عن جماعة من الاكابر والاعيان والخلفاء ممن شربها واشتهر بها ..

فقد بدأ بيزيد بن معاوية الذي كان يقال له : « يزيد الخمور». وقصصه كثيرة ..

وذكر اخبار عبد الملك بن مروان .. وكان يسمّى « حمامة المسجد » لورعه وزهده واجتهاده في العبادة ، هذا قبل ان يلي الخلافة .. فلما افضت اليه الخلافة شرب ..

فقال له سعيد بن المسيّب : بلغني يا امير المؤمنين انك شربت الطلاء ..

فقال : اي والله والدماء ! . .

ومنهم يزيد بن عبد الملك ، وهو صاحب حَبابة وسلاّمة . . واخباره مشهورة .

ومنهم ابنه الوليد بن يزيد ، وقد اشتهر بادمانه الخمر حتى قيل إن احسن ما في شعره « خمرياته » . فقد عدّ بها اماماً .. وقد تأثر بشعره ابو نواس واعتبره المثل الاعلى في قول الشعر .. وقد ذهب به الشراب كل مذهب حتى خلع وقتل .. وله في ذلك أشعار وحكايات منها : انه سمع بشرّاعة بن الزندبود الكوفي وكان من اهل البطالة المشهورين باللعب واللهو وإدمان الشرب.فاستدعاه من الكوفة الى دمشق ، فحمل اليه ، فلما دخل عليه قال له : يا شرّاعة ما ارسلت اليك لاسألك عن كتاب الله ، ولا عن سنة نبيه .

قال : لو سألتني عنها لوجدتني حماراً .

قال : وانما ارسلت اليك لاسألك عن القهوة .

قال : انا دِهقانها الخبير ، ولقمانها الحكيم ، وطبيبها الماهر .

قال : فأخبرني عن الشراب

قال : سل عما بدا لك

قال : ما تقول في الماء ؟

قال : لا بدّ منه .. والحمار شريكي فيه

قال : فاللبن ؟

قال : ما رأيته الا استحييت من طول ما ارضعتني أمي به !

قال : فالسويق ..

قال : شراب الحزين ، والمستعجل ، والمريض

قال : فشراب التمر

قال : سريع الامتلاء .. سريع الانفشاش

قال : فنبيذ الزبيب ..

قال : حاموا به على الشراب ..

قال : فالخمر

قال : تلك والله صديقة روحي

قال : وأنت والله صديق روحي

قال : فأي المجالس أحسن

قال : ما شرب فيه على وجه السماء

هذا .. ومن جيد خمريات الوليد قوله :

إصدع نجي الهموم بالطرب
وانعم على الدهر بابنة العنب
واستقبل العيش في غضارته
لا تقف منه آثار معتصب
من قهوة زانها تقادمها
فهي عجوز تعلو على الحقب
أشهى الى الشرب بعد جلوتها
من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلت ورق جوهرها
حتى تبدت في منظر عجب
فهي بغير المزاج من شرر
وهي لدى المزج سائل الذهب
كأنها في زجاجها قبس
تذكو ضياء في عين مرتقب

ومما يروى عن الوليد ، وهذا من اتهامات خصومه ـ انـه اتخذ لنفسه في قصره بركة من الخمر كان يلقي نفسه فيهـا اذا طرب (١) ، ومن شعره الذي يصوّر نفسيته اجمل تصوير قوله:

خذوا ملككم ، لاثبت الله ملككم
ثباتـاً يساوي ما حييت عقالا
دعوا لي سلمي والنبيـذ وقينةً
وكأساً ، الا حسبي بذلك مالا
أبالملك أرجو ان اخلد فيـكم
الا رب ملكٍ قـد أزيل فزالا

والشبه جدّ قريب بين الوليد بن يزيد ، وبين دوقوندسور ملك انكلترا السابق ادوار الثامن حين احبّ مسز سمبسون فباع تاج اضخم مملـــكة آنئذٍ بكأسٍ من الويسكي ، مع من استهوته بظرفها ورقتها وجمال روحها .

وقصص ادمانه الشراب ترويها اكثر كتب الادب ، فقدنقل الرواة هذه الحكاية عن خمّـــار في دير حنّه الكبير يقال له « مرعبدا » ، حكى هذا الخمّار فقال :

ما شعرت يوماً وقد فتحت حانوتي وجلست الى جانب الهيكل

---

(١) الاغاني ج ٣ ص ٣٠٧

الا بثلاثة فوارس قد اقبلوا في طريق السّماوة في البرّ، حتى وقفوا عليّ، وهم متلثمون بعمائم الخز وعليهم حُلل القصب. فسلموا عليّ، وأسفر احدهم وقال: «انت مرعبدا، وهـذا دير حنّه؟» قلت: نعم. قال: قد وصفت لنا بجودة الشراب والنظافة، فاسقني رطـلا». فبادرت فغسلت يدي. ثم نقرت الدنان ونظرت اصفاها فبزلته، فشرب، ومسحَ يده وفمـــه بالمنديل، ثم قال: «اسقني آخر». فغسلت يدي، وتركت ذلك الدنّ وذلك القدح والمنديل، ونقرت دناً آخر. فلمـا رضيت صفاءَه، بزلت منه رطلا في قـدح، واخذت منديلا جديداً، فناولتـه اياه فشرب كالأول، ثم قال: «اسقني رطلا آخر» فسقيته في غير ذلك القدح وغير ذلك المنديل. فشرب ومسح فمه ويده. وقال لي «بارك الله فيك! فمـا اطيب شرابك وانظفك وأحسن ادبك! وما كان دأبي ان أشرب اكثر من ثلاثةارطال. فلما رأيت نظافتك، دعتني نفسي الى شرب رابـع، فهاته!» فناولته اياه على تلك السبيل فشرب وقال: «لولا اسباب تمنع من بيتك، لكان حبيباً اليّ جلوسي يومي هذا فيه». وولى منصرفاً في الطريق الذي بدا منه. ورمى اليّ احد الراكبين اللذين كانا معه بكيس. فقلت: «وحق النصرانية! لا قبـلته حتى اعرف الرجلَ» فقال: «هذا الوليد بن يزيد ابن عبدالملك. وُصفتَ له، فأقبل من دمشق حتى شرب من شرابك، ورأى ديرك والحيرة». ثم انصرف، فحللت الكيس، فاذا هو اربعمائة دينار.

• • •

وممن اشتهر من الخلفاء بالشراب المأمون بن هارون الرشيد.
ومن اخباره انه شرب هو والقاضي يحي ابن اكثم ،وعبدالله ابن طاهر .. وقد تآمر المأمون مع ابن طاهر على سكر يحي ، فأشار الى الساقي ان يسكره فأسكره ..
وكان بين أيديهم رزم من الورد والرياحين .. فأمر المأمون ان يشق ّ ليحي لحد من الورد والرياحين .. وان يضعوه فيه .. ونظم بيتي شعر .. ودعا قينة فجلست عند رأس يحي وغنّت :

دعوته وهو حي لا حياة به
مكفناً في ثياب من رياحين
فقلت: قم، قال رجلي لا تطاوعني
فقلت : خذ،قال: كفي لا تؤاتيني

وقد انتبه القاضي لرنة العود ، وصوت الجارية وحالته التي هو فيها ، فأيقن انه لم يعد يصلح للقضاء بعدما مرّ بهذه الحالة فقال :

يا سيدي وامير الناس كلهم
قد جار في حكمه من كان يسقيني
اني غفلت عن الساقي فصيرني
كما تراني سليب العقل والدين

فانظر لنفسك قاض ، انني رجل
الراح تقتاني ، والروح تحييني

. . .

وقد انتشر الشراب ، رغم نهي القرآن عنه ، ولكن مسألة الشراب كانت تختلف باختلاف البلاد .

يقول الطبري : انه بينما كان يعاقب عليه في الحجاز ، كان اهل العراق لا يرون بالشراب بأساً (١)

وانتشرت دور الخمر كما كان عليه الحال قبل الاسلام .

وقد امر الخليفة القاهر بتحريم الغناء والخمر . . وكان هو مع ذلك يشرب المطبوخ ، ولا يكاد يصحو من السكر .

ويذكر عن الخليفة الراضي الذي جاء بعد القاهر انه كان أعطى الله عهداً الا يشرب .. ولم يزل من خلافته نحو سنتين محافظاً على عهده لا يشرب ، وكان جلساؤه يشربون بين يديه فلا يشرب معهم الا الجلاّب .. ولكن اصحابه لم يزالوا به ليشرب ، فكتب رقعة بلفظ يمينه وعرضها على الفقهاء ، فوجدوا له رخصة ، فأعطى استاذه ونديمه الصولي الف دينار ليتصدّق بها عنه وشرب .

وكان المستكفي قد ترك النبيذ ، فلما افضت اليه الخلافة دعا به من وقته ، وعاد الى شربه ..

. . .

(١) الطبري ج ٣ ص ٥٥٣

وكان في بيوت الكبراء الى جانب صاحب المطبخ رجل يسمّى الشرابي شأنه العناية بالشراب وآلته، وبالفاكهة والروائح، وكان الشراب عادة للكثيرين حتى كبار ذوي المناصب الشرعية .

ومما تقصّه كتب الأدب والتاريخ انه كان جماعة من الكبراء ينادمون الوزير المهلّبي ، ويجتمعون عنده في الاسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسّط في القصف والخلاعة . منهم ثلاثة قضاة هم ابن قريعة ، وابن معروف ، والتنوخي ، وما منهم الا ابيض اللحية طويلها .. فاذا تكامل الأنس ، وطاب المجلس ، ولذّ السماع ، واخذ الطرب منهم مأخذه وضع في يد كل منهم كأس ذهب وزنه الف مثقال مملوء شراباً قطربلياً او عكبرياً فيغمس لحيته فيه ، بل ينقعها فيه حتى تتشرّب اكثره ، ويرش منه بعضهم على بعض ، ويرقصون اجمعهم وعليهم المصبغات ومخالق البرم .

فاذا اصبحوا عادوا الى عادتهم من التزمّت والتوقّر والتحفظ بأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء . (١)

وكان العباس بن علي ، عمّ الخليفة المنصور يأخذ الكأس بيده ويقول :

اما العقل فتُتلفين ، واما المروءة فتَمحقين ، واما الدين فتُفسدين .. ويسكت ساعة ..

ثم يقول :

واما النفس فتسخّين ، واما القلب فتشجّعين .. واما الهم

(١) يتيمة الدهر للثعالبي ج ١ ص ١٠٦

فتطردين .. افتراك مني تفلتين !

ثم يشربها ..

. . .

ويطول بنا المجال لو رحنا نسرد قصص الخلفاء والعلماء الذين استهوتهم الخمرة فلنكتف بما قدمنا ، على ان نجول جولة سريعة مع الشعراء ، نستمع الى احاديثهم ، ونكاتهم ، وحالاتهم ، وشعرهم في الخمرة والكأس ..

مع ابي نواس

ولنبدأ بأبي نواس الذي يعتبر امام المدمنين .. « وخمرياته » في الشعر العربي ذات لون خاص متميز ، ويكاد يكون ديوانه كله في الخمر ، ونوادره كثيرة ..

فمن نوادره التي تصوّر لنا لوناً من نفسيته هذه القصة :

فقد خرج يوماً ومعه صاحبه مُطيط حتى اتيا دار خمّار ، فقال ابو نواس لصديقه : ادخل بنا نمزح مع هذا الخمّار .. فدخلا .. فسلما .. فردّ عليهما ..

فقال له ابو نواس :

أعندك خمر عتيقة ؟

قال : عندي منها اجناس .. فأيها تريد ؟

قال : التي يقول فيها الشاعر :

حجبت خيفةً ، وصينت فجاءت

كجلاء العروس بعد الصيان

وكأن الأكف تصبغ من ضو
ء سناها بالورس والزعفران

فملأ له الخمّار قدحاً من خمرة صفراء، كأنها ذهب محلول، فشرب الحسن وقال: أحسن من هذا اريد.

فقال له الخمار: اي جنس تريد؟

قال التي يقول فيها الشاعر:

دفعتها أيدي الهواجر حتى
صيرت جسمها كجسم الهواء
فهي كالنور في الاناء وكالنا
ر اذ تصير في الاحشاء

فملأ له الخمّار قدحاً من خمر كأنها العقيق فشرب وقال: أرفع من هذا أريد - فقال: أي جنس؟

قال التي يقول فيها الشاعر:

واذا حسا منها الوضيع ثلاثة
سمح الوضيع كفعل ذي القدر
في لون ماء الغيث الا انها
بين الضلوع كواقد الجمر

فملأ له قدحاً من خمر بيضاء كأنها ماء المزن فشرب وقال للخمار : اتعرفني ؟

قال : اي والله يا سيدي .. انا أعرف الناس بك .

قال : مَن انا ؟

قال له الخمّار : انت الذي يسكر من غير وزن .

فضحك ابو نواس وقال لصديقه مُطيط : ادفع اليه ما بقي عندك من النفقة . فاعطاه مائة درهم وانصرف .

وجملة « ما بقي عندك من النفقة » تدلّ على انه جاء هذا الخمّار في اواخر الليل بعد ان مرّ بعدة خمارين !

. . .

ومما ذكره ابن منظور صاحب لسان العرب في كتابه « اخبار ابي نواس » ـ وهو كتاب نفيس طبع جزؤه الاول فقط ـ قال :

ان الامين اصطبح يوماً مع ندمائه وابو نواس عنده فقال : نريد ان نشرب اليوم كلنا لننظر اينا اجود شرباً ، ولأجودالقوم شرباً حكمه ، فلم يزالوا يشربون الى نصف الليل ، ثم هوّم القوم سكراً ـ اي نعسوا ـ وبقي الامين وابو نواس وكوثر يشربون ، ثم نام الامين وكوثر .. وبقي ابو نواس وحده ، فلما لم يجد له مساعداً اغفى غفوة ثم انتبه ووضع الشراب بين يديه .. ثم قام الى الندماء يحركهم واحداً واحداً ليشربوا معه ، فوجدهم موتى لا حراك بهم ، فقال : ليس الا محمد ـ يريد الامين ـ

فجاء الى مرقده وصاح به : يا سيدي .. يا امير المؤمنين ، ليس هذا من الانصاف ، نحن نشرب وانت نائم ..

فانتبه الأمين وقعد يشرب معه وهو يقول له : ويلك الست من الناس ؟ لا تنام مع ما قد شربت !

فقال ابو نواس : يا سيدي اليست لذة الشراب تقوم مقام النوم ؟

فشربا باقي ليلتهما ، وكأنه كان يتمثل بقول يزيد بن معاوية :

وهبت النوم للنوام اشفاقاً على عمري

وافنيت سواد الليل باللذات والخمر

فما اعرف طعم النوم الا ساعة السكر

ثم اراد الأمين ان ينام بعد ان سكر فقال ابو نواس : على رسلك .. ثم انشده ابياتاً نفحه الأمين من اجلها الف درهم ، ومثلها من أجل ما شرب ..

. . .

ونقرأ في ديوان ابي نواس لمحات تصور حياته وادمانه تصويراً جميلا ، فقد كان يبيت في الحانة اياماً يعبّ من الشراب.. والى هذا اشار بقوله :

أقمنا بها يوماً ويومين بعده

ويوماً له يوم الترحل خامس

لقد دخل الحانة هو وخلاّنه على ان يبيتوا فيها ليـــلة .. ولكن انّى له ان يترك الحانة وفيها سلوة الروح ؟

لقد بقوا يوماً ثانياً .. وإذ طاب لهم المقام استقرّ رأيهم على الاقامة يومين آخرين..فلما مرا على احسن ما تمرّ الايام بالشاربين قالوا نقيم يوماً آخر .. فلما قضوا اليوم الرابع لم يهن عليهم مفارقتها فاقاموا اليوم الخامس ..

وكان يشرب بكثرة تفوق الحد ..

ولقد شربت ثمانياً وثمانيا

وثمان عشرة واثنتين واربعا ..

فكم عدد هذه الكؤوس ؟

وكيف اتيح له ان يعدّها ؟

لقد وصف ليلة بطولها في بيت واحد من الشعر فقال :

« انه شرب ثمانية اقداح في حانة ، وانتقل الى مكان آخر فشرب ثمانية اقداح ، ثم خرج يسعى الى مجلس انس شرب فيه ثماني عشرة كأساً ، فخرج بعد ذلك الى حانة اخرى شرب فيها اربعاً - اي شرب في ليلة واحدة اربعين كأساً - ومن هنـا جاءت بطولة ابي نواس في الشراب .

فمن وصفه الدقيق للخمر قوله :

صفراء تضحك عند المزج من شغب

كأن أعينهـا انصاف اجراس

كان يقول لدكتور ابراهيم ناجي ـ رحمه الله ـ :

لقد كنا جماعة نتحدث عن معنى هذا البيت العجيب ،فاتفقنا على ان المرء يجب ان يدمن الشرب كأبي نواس حتى يرى ويفهم هاته « الانصاف اجراس » ..

ثم عقّب على هذا الاستطراد فقال : ان هذا البيت لا يقوله الا باريسي بودليري ، ومن حقه ان يقول « وجودي باريسي» .. فهل لشعرائنا المعاصرين الذين امتزجت روحهم بالخمرة امتزاجاً قوياً ان يشرحوا لنا غوامض هذا البيت :

صفراء تضحك عند المزج من شغب

كأن أعينهـا انصاف اجراس

. . .

ومن أوصاف ابي نواس للخمرة التي تصوّر غرامه بها قوله:

ما زلت استل روح الدن في لطفٍ

واستقي دمه من جوف مجروح

حتى انثنيت ولي روحان في جسد

والدن منطرح جسماً بـلا روح

ومن قصائده الجميلة في الخمرة قوله .

دع عنك لومي فأن اللوم اغراء

وداوني بالتي كانت هي الداء

صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها
لو مسّها حجر مسته سرآء
رقّت عن الماء حتى ما يلائمها
لطافة ، وجفا عن شكلها الماء
فلو مزجت بها نوراً لمازجها
حتى تولد انوار واضواء
دارت على فتية دان الزمان لهم
فما يصيبهم الا بما شاؤوا
لتلك أبكي ولا ابكي لمنزلة
كانت تحل بها هند واسماء

وأبو نواس هو القائل :

الا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر
ولا تسقني سراً ، اذا امكن الجهر
فعيش الفتى في سكرة بعد سكرة
فان طال هذا عنده ، قصر الدهر

وما الغبن الا ان تراني صاحياً
وما الغنم الا ان يتعتعني السكر
فبح باسم من أهوى، ودعني من الكنى
فلا خير في اللذات من دونها ستر
ولا خير في فتك بغير مجانة
ولا في مجون ليس يتبعه كفر

وحين دبتّ الشيخوخة اليه بوجهها المغبر الكالح نصحه اصدقاؤه بالكفّ عن الشراب فأجابهم بقوله .

قالوا كبرت: فقلت ما كبرت يدي
عن ان تسير الى فمي بالكاس

وحين خوّفوه عقاب الله قال :

يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك اكبر

. . .

لقد أطلنا الحديث عن ابي نواس لأنه يمثّل حياة المجون ومجالس الشرب في عصره اصدق تمثيل .. ولم تكن هذه الحياة قاصرة على الشعراء والماجنين بل كانت الأسر الارستقراطية والاسر الحاكمة تحياها بترفٍ أصيل وبذخٍ غير محدود ، فلقد توفّرت في الحواضر ،

ولا سيما بين الخاصة في بغداد ، مجالس الشرب ، ولم تكن تخلو منها قصور الحكام ، وكان بعضهم يتذرع الى ذلك ، على مناقضة لاوامر الدين، بان الشرع حلّل نبيذ الخمر، وعليه بنى ابن خلدون المؤرخ دفاعه عن هارون الرشيد بقوله : وانما كان الرشيد يشرب نبيذ الخمر على مذهب اهل العراق ، وفتاويهم فيها معروفة. واما الخمر الصرف فلا سبيل الى اتهامه بها ، ولا تقليد الاخبار الواهية فيها .. الى ان يقول : وحال ابن اكثم والمأمون في ذلك حال الرشيد : شرابهم انما كان النبيذ ولم يكن محظوراً عندهم.(١)

على ان شرب الخمر على انواعها كان شائعاً كما يتبين من درس الشعر العباسي ، وكذلك مجالسة الندماء والمغنين والقينات . ولم يكن ذلك بدعة في الدولة العباسية ، فقد سبقهم الى ذلك الامويون ؛ واخبار اليزيد والوليد وسليمان وغيرهم كافية للدلالة على ما ذكرناه .

فبعد ان كان المسلمون ايام الخلفاء الراشدين يتحرجون من الخمر ويعاقبون شاربها ، اصبحوا بعد ذلك يرون في بعض خلفائهم وزعمائهم ما يسهّل لديهم معاقرتها .

نعم ، ظلّت الشريعة نافذة في حدّ السكارى .. ولكن ذلك لم يمنع الناس من تعاطي المسكر وارتياد الحانات . .

ومهما كان من المبالغة فيما ينقلونه عن الهادي والرشيد والامين والواثق والمتوكل ومَن جرى مجراهم من الملوك أو نادمهم من

---

(١) مقدمة ابن خلدون طبعة بيروت ص ١٨

الشعراء والمغنين ، فقد أجمع اكثر المؤرخين على شربهم الخمر ، وبلوغ بعضهم من ذلك درجة التهتك حتى روى الابشيهي ان الواثق كان يرقد في المكان الذي يشرب فيه ويرقد معه ندماؤه(١). وكان الشراب عادة مقروناً بالغناء ..

ففي كل مجلس طرب عند الخاصة يحضر اولو الفن فيغنون او يرقصون ، ويشرب الحاضرون ويقضون وقتهم على ذلك .

ومن امثلة ذلك ما نقله ابن الاثير عن الأمير انه أمر يوماً قيّمة جواريه ان تهيء له مئة جارية فتصعد عليه عشراً عشراً ، بأيديهن العيدان يغنين بصوت واحد (٢) . وكتب الادب مليئة باخبار المغنين والمغنيات والدور الذي لعبوه في حياة الامراء والخلفاء .. ولا مجال هنا للاسهاب عن اثر الجواري واثر القينات والمغنين في حياة القصور فلهذا حديث طويل قد نعود اليه ونخصه ببحث وافٍ .. وقد جئنا بهذه الامثلة استطراداً ونحن نتحدث عن الشاعر الماجن ابي نواس الذي يعتبر من أشعر شعراء العرب في وصف الخمرة . وقد اشار الشيباني الى هذا بقوله :

ان اشعر الناس في وصف الخمرة ثلاثة : الأعشى والاخطل وابو نواس ، ويعتبر الأخير اجزلهم لفظاً واكثرهم شرباً .

هذا ، وقد اشرنا في بدء كلامنا الى الاعشى فلنتحدث عن الاخطل الشاعر النصراني الذي كان يدخل على الخليفة عبدالملك ابن مروان وهو سكران فيخاطبه بقوله :

---

(١) المستظرف ج ٢ ص ١٨٧ (٢) ابن الاثير ح ٦ ص ١٠٠

اذا ما نديمي علّني ثم علّني
ثلاث زجاجات لهن هدير
خرجت أجر الذيل حتى كأنني
عليك أمير المؤمنين أمير

فيسامحه دون ان يعاقبه على سلوكه هذا. فقد كان الاخطل أحظى الشعراء لدى الامويين ، اتخذوه شاعرهم يناضل عنهم اعداءهم . ويمتاز شعره بجزالة الاسلوب ورقة اللفظ . وقد سئل حماد الراوية عن الاخطل فقال : لا تسألوني عن رجل حبّب شعره اليّ النصرانية .

واخبار الأخطل مع الخليفة عبدالملك بن مروان كثيرة نجتزئ منها بعض الروايات .

في الاغاني (١) :

ان الاخطل قدم على عبدالملك ، فنزل على ابن سرحون كاتبه . فقال عبدالملك :

على مَنْ نزلت ؟

قال : على فلان .

قال : قاتلك الله ! ما أعلمك بصالح المنازل : فما تريد ان يُنزلك (٢)

(١) جزء ٨ ص ٢٩٠

(٢) اي ان يقدم لك النزل ، وهو ما يهيأ للضيف من طعام وغيره .

قال : َدرمَكٌ من َدر َمكـكم هـذا ، ولحم وخمر من بيت رأس (١)

فضحك عبدالملك ثم قال له : ويلك ! وعلى اي شيء اقتتلنا الا هذا .. ثم قال : الا تُسلِمُ فنفرِضَ لك في الفيء ونُعطيك عشرة الاف . ــ قال : كيف بالخمر ؟

قال : وما تصنع بها ، وان اولها لمرٌّ وان آخرها لسكر !

فقال : اما اذا قلت ذلك فان فيما بين هاتين لمنزلةً ما مُلكك فيها الا كلعقة ماء من الفرات بالاصبع ..

فضحك ثم لا يتحرج الاخطل ان يدخل عليه وقد اخذت فيه الخمر حتى عاد لا يحسن فهم سؤال ولا يدري كيف يجيب ، ويكلمه الخليفة فيخلط بكلامه ، ويسأله عن سبب هـذا الخلط فما يزيد على ان ينشد له :

وكأسٍ مثلِ عين الديك صرفٍ
تنسّي الشاربين لهـا العقولا
اذا شرب الفتي منها ثلاثـاً
بغير الماء حاول ان يطولا
مشى قرشية لا عيب فيهـا
وارخى من مآزره الفضولا

(١) الدرمك: دقيق الحواري . وبيت رأس : اسم لقريتين في كل واحدة منهما كروم كثيرة تنسب اليها الخمرة .

هذا ، وقد كانت نشوة الخمر تهيب بعضهم ان يتصوّروا انفسهم ملوكاً فلا يكادون يصحون حتى يهزأون من انفسهم كما جرى مع المنخل اليشكري الذي حيكت الاقاصيص عنه حول علاقاته الغرامية بالمتجردة امرأة النعمان ، فمن جميل تصويره قوله:

فاذا سكرت فأنني
رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فأنني
رب الشويهة والبعير

ويصف شاعر آخر حالتي صحوه وسكره بقوله :

شربنا من الداذي(١)حتى كأننا
ملوك لهم برّ العراقين والبحر
فلما انجلت شمس النهار رأيتنا
تولى الغنى عنا وعاودنا الفقر

. . .

وخلاصة القول ان الخمرة تشكل في ادبنا العربي مجموعة ضخمة مما يدلّ على انها لعبت دوراً كبيراً في حياة ادبائنا وشعرائنا ، وقد الم الاستاذ احمد امين الى هذه الناحية بقوله :

(١) اسم شراب شديد الاسكار

« ومن اعجب الأمور ان يكون الأدب العربي من أغنى آداب الأمم في الخمر مـــع تحريمها في الاسلام وحلها في غيره من الاديان » .

اي والله . . ان هذا لمن اعجب الأمور ، وقد لا تفتح ديواناً لشاعر الا وتقع على مقطوعات وقصائد كثيرة في وصفها ووصف الشرب وحالتي الصحو والسكر ، واذا فات بعضهم الوصف الحقيقي عمدوا الى المجاز .. وكثيرون هم الذين سكروا بجمال الطبيعة وبجمال العيون وجمال القدود والنهود ، وقد وصفوا نشوتهم وصفاً دقيقـــاً يعلو ويدق على وصف الذين سكروا بنشوة الخمر .

وهذا ابن الفارض ـ سلطان العاشقين ـ وشعره في الخمر آية في الابداع .. فهل شرب الخمر ؟

ان جميع الذين بحثوا حياة هذا المتصوف انتهوا الى ان خمرة ابن الفارض هي الخمرة الالهية . . فمن ذلك قصيدته المشهورة

شربنا على ذكر الحبيب مدامة
سكرنا بها من قبل ان تخلق الكرم(١)

. . .

(١) راجع القصيدة في باب من خمور الصوفيين

لقد عاش ابن الفارض في شبابه حياة الحس والوجد ، وكان مغرماً بالجمال ، وقد فاض قلبه بتصوير الحب تصويراً دقيقاً ، ولكن هذا الاحساس العارم قد تطوّر من الحب المعنوي الى الحب الالهي . وهذا الذي أوحى له هذه المعاني المبتكرة في الشوق والوجد والصحو والسكر . ولا شك ان غيبوبته كانت لوناً من التصوف والوجد الآلهي ، ولا نعرف اذا كان قد سكر في شبابه من خمرة العنب ام لم يسكر ، فأكثر الذين درسوا حياته ينزهونه عن هذا المنكر .

يقول صاحب كتاب « التصوف الاسلامي » في بحثه عن اشواق ابن الفارض : والمحبّون في الاودية الحسية لا يهتدون الى العوالم الروحية الا بعد ان تدلهم الدنيا على ان الجمال الانساني كالظل يتحول ويزول . واشعار ابن الفارض في جملتها تمثّل معاني حسية ، وهي في بعض الاحوال رمز للمعاني الروحية . وهذا الرمز تفرضه سيرة ابن الفارض ، وقد ذاق الكأسين فعرف الحب الحسي والحب الروحي . ويكاد يكون من اليقين عندنا ان حبه الأول هو السرّ في وقدة حبه الثاني ، لاننا نعرف الله اول ما نعرفه عن طريق المحسوسات نفسها لا توحي الشعر الا حين تستعد النفس لفهم ما فيها من الدلالات الوجدانية. واساس الحب هو التفاهم، فالتمثال من المرمر قد يوحي الاعجاب، ولكنه لا يوحي العشق الا ّ اذا تمثلنا ما يرمز اليه من الروح . والصورة الجميلة قد تمرّ بلا حب ، ولا وجد حين تحرم التفاهم

مع الشعراء . الا تذكرون ما يسمونه « لغة العيون » ؟
ان بعض العيون تتكلم بـلا صوت فتوحي ما توحي من الهدى والضلال » (١)

. . .

واذا كان ابن الفارض قد وجد سلوته في الخمرة الالهية فان الخيام مثلاً كان واقعياً ، وكان كأبي نواس .. اي كانت الخمرة وسيلة للتغلب على الهموم والاحزان، فهو ذو فلسفة في فهم الغاز الحياة واسرار الكون . نعم ، كان عمر الخيام يرى ان الوسيلة الوحيدة الى النجاة من آلام الحيـاة هي السلافة ، وذهب في المغالاة بمدحها ، والاسراف في حبها ، والولوع بهـا ، وحثّ الشاربين على شربها ما جعل الباحثين ان يسيئوا بـه الظنون ، ويعتبروا اقواله نزعة من السفه وضرباً من الجنون .

وقد ذهب الخيام في الخمرة مذهب اكثر الشعراء والحكماء الذين كانوا يرون فيهـــا راحة للنفوس ، وتسكيناً للاوجاع ، وتخفيفاً للآلام والاكدار . وتدل « رباعياته » على انه لم يشرب الخمر لمجرد اللهو والعبث ، وانما اتخذها دواء كما يتخـذ المريض الدواء لمرضه ..

فمن ذلك قوله :

« ليس شرب الخمرة من اجل الطرب والفساد ، وترك الدين والادب ، وانما اريد ان اتنفس الصعداء ، وانا ذاهل عن نفسي ،

---

(١) التصوف الاسلامي لزكي مبارك ج ١ ض ٢٩٢

فشربي الخمر وسكري لهذا السبب » .

وقال يوضح رأيه في فلسفة الحياة :

« بين مجيء الربيـــع وذهابه تنطوي اوراق وجودنا .

اشرب الخمرة ولا تتألم .

فقد قال الحكيم : ان الام الحيـاة سمّ ودرياقها الخمر »

وما دامت حيـاة الانسان سلسلة من الآلام والمتاعب فلِمَ لا نتغلب عليها بالخمر ، وقد قنع من الحياة بأقل ما فيها .

زجاجـة الخمر ونصف الرغيف

وما حوى ديوان شعر طريف

أحبّ لي ان كنتَ لي مؤنساً

في بلقـع من كل ملك منيف

يقول الخيـام :

نحن الاعيب اطفال ، والفلك هو اللاعب بنا .

ذلك امر حقيقي غير مجازي .

لقد لعبنا مدة في ساحة الوجود ثم ذهبنا الى صندوق العدم واحداً بعد واحد .

ويقول ايضاً :

اقد سمعت هاتفـــاً في السحر من حانتنا يقول : ايه اخا الشراب المفتون .

قم لنملأ الكأس بالخمر قبل ان يملأوا كأسنا .

وهكذا ، من اشعة الخمرة انبثقت في ادبنا العربي فلسفة جديدة في السرور والألم ، في الشقاء والسعادة ، في الوجود والعدم ، وفي كل ما يتصل بالغاز الكون وحقائق الحياة ..

ووجدت الخمرة طريقها الى الدين والشعر والعلم والفلسفة فأفتى رجل الدين بتحريمها استناداً الى التعاليم السماوية ، وقال العلم رأيه في حقيقتها : في منافعها وأضرارها . ووصف الشعر بريقها المشعشع ، وساعات صبوحها وغبوقها . وأبدت الفلسفة رأيها في كنهها العلوي ، وظلّ الناس يتأرجحون بين هذه الاراء المتباينة ، او ظل مدمنوها هؤلاء العشاق الذين لم يصدهم عنها اي قيد ولو كان في ذلك هلاكهم وموتهم .

وقد ظلّت تلك التعاليم على افواه رجال الدين والمصلحين ، يرسلونها صيحات مدوية في أروقة المعابد ، وعلى صفحات كتبهم ورسائلهم ونشراتهم ، وظلّ الكثيرون منذ الاف السنين يجدون فيها هذه السلوى التي تبدّد احزانهم ، وتنقلهم من قيود الحياة ومتاعبها الى عوالم الخيال والنشوة والنسيان !..

• • •

وبعد ، فلا اريد ان اكون ، وانا اختم كلامي في هذه اللمحات السريعة عن الخمر في ادبنا العربي ـ لن اكون هذا الواعظ الديني الذي يرسل الحِكَم والاراء بضررها ووجوب الكفّ عن شربها ، فلن يفيد كلامي شيئاً ، والمدمن لها اسير المادة ، وقراء هذا البحث الذين اعتادوا ان يغسلوا ادران

همومهم في كأسٍ من الخمر . لن يكفّوا عن معانقة الكأس وهم يتفلسفون في حقيقة الخمر ـ في هذا الداء العضال كدواء ناجع لتبديد همومهم ، مردّدين مع القاضي الفاضل :

اغالط بالكأس حكم الزمان

فيوم عـــليَّ ويوم اليَّ

رأي الجاحظ في الخمر

من رسالة الجاحظ في الشارب والمشروب

قال ابو عثمان :

سألت اكرم الله وجهك ، وادام رشدك ، واطاعته توفيقك ، حتى تبلغ من مصالح دينك ودنياك منازل ذوي الألباب ، ودرجات اهل الثواب ، ان اكتب لك صفات الشارب والمشروب وما فيهما من المدح والعيوب ، وان اميّز لك بين الانبذة والخمر ، وان اقفك على حد السكر ، وان اعرفك السبب الذي يرغب شرب الانبذة وما فيهامن اجتلاب المنفعة ، وما يكره من نبيذ الاوعية.

وقلت : ومالفرق بين النقيع والذاذي ، وما المطبوخ والباذق ، وما الغربي والمروق . وما الذي يحلّ من الطبيخ ، وما القول في شرب الفضيخ ، وهل يكره نبيذ العكر .

وما القول في عتيق السكر وانبذة الجرار ، وما يعمل من السكر .

ولم كره النقير والمقير .

وسألت عن نبيذ العسل والقرطبات ، وعن رزين سوق الاهواز ، وعن نبيذ ابي يوسف والجمهور والمعلّق والمسحوم والحلو وترس بسرين ونبيذ الكشمس والتين .

ولم كره الجلوس على البواطي والرياحين .

وقلت : وما نصيب الشيطان وما حاصل الانسان ؟

. . .

... وسألتَ عمن شرب الانبذة أو كرهها من الاوائل ، وما جرى بينهم فيها من الاجوبة والمسائل . وما كانوا عليه فيهامن الآراء ، وتثبتوا فيها من الاهواء، ولأي سبب تضادت فيها الاثار، واختلفت فيها الاخبار .

وسألتَ أن أقصد في ذلك الى الايجاز والاختصار، وحذف الاكثار .

وقلت : إذ جعل الله تعالى للعباد من الخمر المندوحة بالاشربة الهنيئة الممدوحة ، فما تقول فيما حسن من الأنبذة صفاه ، وبعد مناه ، واشتدَّت قواه ، وعتق حتى جاد ، وعاد بعد قدم الكون صافي اللون هل يحل اليه الاجتماع ، وفيه الاكتراع . إذ كان يهضم الطعام ، ويوطىء المنام .

وهو في لطائف الجسم سار ، وفي خفيّات العروق جار ، لا يضر معه برغوث ولا بعوض ولا جرجس عضوض .

وقلت ، كيف يحلّ لك ترك شربه إذا كان لك موافقاً ، ولجسمك ملائماً .

ولم لا قلت إن تارك شربه كتارك العلاج من ادوأ الادواء، وانه كالمعين على نفسه اذا ترك شربه أفحش الداء .

وانت تعلم انك اذا شربته عدلت به طبيعتك ، وأصلحت به صفار جسمك ، واظهرت به حمرة لونك ، فاستبدلت بهمن السقم صحة ، ومن حلول العجز قوة ، ومن الكسل نشاطاً ، والى اللذة انبساطاً ، ومن الغم فرحاً ، ومن الجمود تحركاً ، ومن الوحشة انساً .

وهو في الخلوة خير مسامر ، وعند الحلبة خير ناصر ،يترك الضعيف وهو مثل الأسد في العرين ، يلان له ولا يلين .

وقلت : الجيد من الانبذة يصفّي الذهن ، ويقوّي الركن، ويشدّ القلب والظهر ، ويمنع الضيم والقبر ، ويشحذ المعدة ، ويهيج للطعام الشهوة ، ويقطع عن إكثار الماء الذي حلّ الادواء منه ، ويحدر رطوبة الرأس ، ويهيج العطاس ، ويشدّ البضعة ، ويزيد في النطفة، وينقي القرقرة والرياح، ويبعث الجود والسماح، ويمنع الطحال من العظم ، والمعدة من التخم ، ويحدر المرأة والبلغم ويلطّف دم العروق ويجريه ، ويرققه ويصفّيه ، ويبسط الامال ، وينعم البال ، ويغشي الغلظ في الرئة ويصفّي البشرة ، ويترك اللون كالعصفر ، ويحدر أذى الرأس في المنخر ، ويموه الوجه ، ويسخن الكلية ، ويلذّ النوم ، ويحلل التخم ، ويذهب بالاعياء ، ويغذو لطيف الغـــذاء ، ويطيب الانفاس . ويطرد الوسواس ، ويطرب النفس ويؤنس من الوحشة ، ويسكن الروعـة ، ويذهب الحشمة ، ويقذف فضول الصلب بالانشاط للجماع ، وفضول المعدة بالهواع ، ويشجع المرتاع، ويزهي الذليل، ويكثر القليل ، ويزيد في جمال الجميل ، ويسلّ الحزن ، ويجمع الذهن ، ويذهب الهمّ، ويطرد الغم ، ويكشف عن قناع الحزم، ويولّد في الحليم الحلم ، ويكفي اضغاث الحلم ، ويحث على الصبر ، ويصحح من الفكر ، ويرجي القانط ، ويرضي الساخط ، ويغني عن الجليس ، ويقوم مقام الانيس ، وحتى ان عزّ لم يقنط منه،

وإن حضر لم يصبر عنه ، ويدفع النوازل العظيمة، وينفي الصدر من الخصومة ، ويزيد في المساغ ، وسخونة الدماغ ، وينشط الباه حتى لا يزيف شيئاً يراه ، وتقبله جميع الطبائع ، ويمتزج به صنوف البدائع : من اللذة والسرور ، والنضرة والحبور ، وحتى سمّي شربه حصفاً ، وسمي فقده خسفاً .

وإن شرب منه الصرف بغير مزاج تحلّل بغير علاج ، وينفي الاحزان والهموم ، ويدفع الاهواء والسموم ، ويفتح الذهن ويمنع الغبن ، ويلقن الجواب ، ولا يكيد معه العتاب .

به تمام اللذات ، وكمال المروءات.

ليس لشيء كحلاوته في النفوس ، وكسطوته في الجباه والرؤوس ، وكانشاطه للحديث والجلوس.

يحمّر الالوان ، ويرطب الابدان ، ويخلع عن الطرب الارسان .

• • •

وقلت : ومع كل ذلك فهو يلجلج اللسان ، ويكثر الهذيان ، ويظهر الفضول والاخلاط ، ويناوب الكسل بعد النشاط .

فاذا ما تبيّن في الرأس الميلان واختلف عند المشي الرجلان ، وكثر الاخفاق والتنخع والبصاق، واشتملت عليه الغفلة ،وجاءت الزّلة بعد الزلة،اوسال على الصدر لعابه، وصار في حدّ المخرفين، لا يفهم ولا يبين ، قبل دلالات النكر ، وظهور علامات السكر ، ينسى الذكر، ويورث الفكر، ويهتك الستر، ويسقط من الجدار،

ويهور في الآبار ، ويغرق في الانهار ، ويعوق عن المعروف ، ويعرض للحتوف ، ويحمل على الهفوة ، ويؤكد الغفلة ، ويورث الصياح والصمات ، ويصرع الفهم للسبات ، فلغير معنى يضحك ، ولغير سبب يمحك ، ويحيد عن الانصاف ، وينقلب على الساكب الكاف ، ثم يظهر السرائر ، ويطلع على ما في الضمائر، من مكنون الاحقاد ، وخفي الاعتقاد .

وقد يقل على السكر المتاع ، ويطول منه الأرق والصداع، ثم يورث بالغدوات الخمار ، ويختل سائر النهار ، ويمنع من اقامة الصلوات ، وفهم الاوقات ، ويعقب السل ، ويعقب في القلوب الغلّ ، ويجفف النطفة ، ويورث الرعشة ، ويولد الصفار وضروب الملل في الابصار ، ويعقب الهزال ، ويجحف بالمال ، ويخفف الطبيعة ، ويقوي الفاسد من المرة ، ويذبل النفس ، ويفسد مزاج الحس ، ويحدث الفتور في القلب ، ويبطىء عند الجماع الصبّ ، حتى يحدث من أجله الفتق الذي ليس له رتق ، ويحمل على المظالم وركوب المآثم ، وتضييع الحقوق حتى يقتل من غير علم ، ويكفر من غير فهم .

- ٣ -

وقلت : ومن الحلو في المعدة التخم ، وفي الابدان الوخم ، ويولّد للكرش رياحاً كمثل رياح المدس ، وحموضة تولّد في الاسنان الضرس .

والسكر : حسبك بفرط مرارته وكسوف لونه وبشاعة

مذاقه ونفار الطبيعة عنه ، وانواع ما يعالج من التمر والحبوب فشربها الداء العضال .

والسجور والبتي واشباهها كدورة ترسب في المعدة وتولد بين الجلدتين الحكّة ، واشباه هذا كثيرة تركت ذكرها . لاني لم اقصدك بالمسألة ابتغي منك تحليل ما يجلب المضرة ، ولكن ما تقول فيما يسرك ولا يسؤك .

واذا شربته تلقته العروق فاتحة أفواهها كأفواه الفراخ محسنة للون ، ملذة للنفس ، يجثم على المعدة ، ويزود في العروق ، ويقصد الى القلب فيولد فيه اللذة ، وفي المعدة الهضم . وهو في غسولها ونضوحها .

ويسرع الى طاعة الكبد ويفيض بالعجل الى الطحال وينفخ منه وتظهر حمرته بين الجلدتين، ويزيد في اللون ، ويولد الشجاعة والسخاء ، ويريح من اكتنان الضغن ، ويعفي على تغير النكهة ، وينقي الذفر ، ويسرع الى الجبهة ، ويغني عن الصلا ، ويمنع القر.

— ٤ —

وما تقول في نبيذ الزبيب والعسل المازي اذا تورد لونه وتقادم كونه ، ورأيت حمرته في صفرته تلوح ؟

تراه في الكأس كأنه بالشمس ملتحف ، شعاعه يضحك في الاكف .

وما تقول في عصير الكرم اذا أجدت طبخه وانعمت انضاجه ، واحسن الدنّ نتاجه ؟

فاذا فض فضَّ عن غضارة ، قد صار في لون المحارة ، وفي صفاء ياقوتة تلمع في الاكف لمع الدنانير . ويضيء كالشهاب المتقد.

وما تقول في نبيذ عسل مصر ؟

فانه الى شاربه الصحيح من طعـــم الزعفران ما لا يلبس الخلقان ، ولا يجود الا في جدد الدنان ، ولا يستخدم الانجاس ، ولا يألف الارجاس ، وكذلك لا يزكو على عـــلاج الجنب والحائض ، ولا ينقص على شيء من الاجسام لونه حتى لو غمس فيه قطن لخرج ابيض يققاً . وحسبك به في رقّة الهواء يكدره صافي الماء . وهو مع ذلك كالهزبر ذي الاشبال المفترس للاقران ، مَن عاقره عقره ، ومن صارعه صرعه .

. . .

وما تقول في رزين الاهواز من زبيب الداقياذ ؟

اذ يعود صلباً من غير ان يسيل سلافه . او يماط عنه ثفله حتى يعود كلون العقيق في رائحة المسك الفتيق ، أصلب الانبذة عريكة ، وأصلبها صلابة ، وأشدها خشونة .

ثم لا يستعين بعسل ولا سكر ولا دوشاب .

وما ظنك به وهو زبيب نقيع ، لا يشتد ولا يجود الا بالضرب الوجيع .

. . .

وما تقول في الدوشاب البستاني سلالة الرطب الجني بالحب الرتيلي ؟

اذا اوجع ضرباً وأطيل حبساً أعطى صفوه ومنح رفده وبذل ما عنده .

فاذا كشف عنه قناع الطين ظهر في لون الشقر والكمت ، وسطع برائحة كالمسك ، واذا هم على المعدة لانت له الطبائع ، وسليت له الامعاء ، وأيس الحصر ، وانقطع طمع القولنج ، وانقادت له اليبوسة ، واذعنت له بالطاعة ، وابتل به الجلد القحل ، وارتحل عنه الباسور ، وكفى شاربه الوخز ، فاذا سنح بما تلظى ورمى بشرره هل يحل ان يشمئم اذا سكن جأشه وأبل حلمه .

. . .

وما تقول في المغلق من أنبذة التمر ؟

فانك تنظر اليه وكأن النيران تلمع من جوفه ، قد ركد ركود الدلال حتى لكأن شاربه يكرع في شهاب ، ولكأنه فرند في وجه سيف ، وله صفيحة مرآة مجلوة تحكي الوجوه في الزجاجة حتى يفهم فيه الجلاس .

. . .

وما تقول في نبيذ الجزر الذي منه تمتد النطفة ، وتشتد البضعة ؟

يجلب الاحلام ، ويركد في مخ العظام .

. . .

وما تقول في نبيذ الكشمش الذي لونه لون زمردة خضراء

صافية ، محكم الصلابة ، مفرط الحرارة ، حديد السورة ، سريع الافاقة ، عظيم المؤنة ، قصير العمر ، كثير العلل ، جمّ الهبات ، تطمع الآفات فيه ، وتسرع اليه .

• • •

وما تقول في نبيذ التين ؟

فانك تعلم انه ، مع حرارته ، ليّن العريكة، سلس الطبيعة، عذب المذاق ، سريع الاطلاق ، مرهم للعروق ، نضّاح للكبد ، فتاح للسدود ، غسّال الامعاء ، هياج للباه ، اخاذ للثمن ،جلّاب للمؤن ، مع كسوف لون ، وقبح منظر .

• • •

وما تقول في نبيذ السكر الذي ليس مقدار المنفعة منه على قدر المؤنة فيه ؟

هل يوجد في المحصول لشربه معنى معقول !

• • •

وما تقول في المروق والغربي والفضيح ؟

الذّ المشروبات في زمانها ، وأنفع المأخوذات في إبانها ، أقلّ شيء مؤنة ، وأحسنه معونة ، واكثر شيء قنوعاً وأسرعه بلوغاً.

خمورات عروفات المرجل الوفي ، ولها ارابيج على الشاة كأذكى رائحة تشمّ .

اقلّ المشروبات صداعاً ، وأشدّهن خداعاً .

• • •

قد فهمت، اسعدالله تعالى بطاعته ،جميع ما ذكرت من أنواع الانبذة ، وبديع صفاتها ، والفصل بين جيدها ورديئها ونافعها وضارّها . وما سألت من الوقوف على حدودها .

ولا زلت من عداد من يسأل ولا يبحث ، ولا زلنا في عداد مَن يشرح ويفصح .

. . .

اعلم ، اكرمك الله ، انك لو بحثت عن احوال من يؤثر شرب الخمور على الانبذة لم تجد الا جاهلا مخذولاً ، او حدثاً مغروراً ، او خليعاً ماجناً ، او رعاعا همجاً ، ومن اذا غدا بهيمة، واذا راح نعامة .

ليس عنده من المعرفة اكثر من انتحال القول بالجماعة قد مزج له الصحيح بالمحال .

فهو يدين بتقليد الرجال ليشعشع الداح ويحرم المباح .

فمتى عذله عاذل ووعظه واعظ قال :

الاشربة كلها خمر فلا أشرب الا اجودها .

وقد احببت ، ايدك الله التوثق من صفاء فهمك وسؤت ظناً بالتقرير فقدمت لك من التوطئة ما يسهل لك سبيل المعرفة .وذلك الى مثالك من مثلي حرم . سيما فيما خفيت معالمه ،ودرست مناهجه . وكثرت شبهه واشتدّ غموضه .

ولو لم يكن ذلك ، وكان قد اعتاص على البرهان في إظهاره واحتجت في الابانة عنه الى ذكر ضده ونظيره وشكله لم احتشم

من الاستعانة بكل ذلك ، فكيف والقدرة بحمد الله وافرة ، والحجة واضحة .

قد يكون الشيء من جنس الحرام فيعالج بضرب من العلاج حتى يتغيّر بلون يحدث له ورائحة وطعم ونحو ذلك فيتغير لذلك اسمه ، ويصير حلالاً بعد ان كان حراماً .

. . .

في تحليل النبيذ دون الخمر :

فان قال لنا قائل : ما تدرون لعل الانبذة قد دخلت في ذكر تحريم الخمر ، ولكن لما كان الابتداء أجرى في ذكر تحريم الخمر ، خرج التحريم عليها وحدها في ظاهر المخاطبة ودخل سائر الاشربة في التحريم بالقصد والارادة ؟!

قلنا : قد علمنا ان ذلك على خلاف ما ذكر السائل لاسباب موجودة وعلل معروفة .

منها ان الصحابة الذين شهدوا نزول الفرائض ، والتابعين من بعدهم لم يختلفوا في قاذف المحصنين ان عليه الحد ، واختلفوا في الاشربة التي تسكر . ليس لجهلهم اسماء الخمور ومعانيها ، ولكن الاخبار المروية في تحريم المسكر والواردة في تحليلها ولو كانت الاشربة كلها عند اهل اللغة في القديم خمراً احتاجوا الى اهل الروايات في الخمر اي الاجناس من الاشربة هي ، كما لم يخرجوا الى طلب معرفة العبيد من الاماء !

وهذا باب يطول شرحه ان استقصيت جميـــع ما فيه من المسألة والجواب .

ومما ينكر مَنْ خالفنا في تحليل الانبذة مـــع اقراره بان الاشربة المسكرة الكثيرة لم تزل معروفة باسمائهـا واعيانها واجناسها وبلدانها .

وان الله تعالى قصد للخمر من بين جميعها فحرمها وترك سائر الاشربة طلقاً مع اجناس سائر المباح .

والدليل على تجويز ذلك ان الله تعالى ما حرم على النـاس شيئاً من الاشياء في القديم والحديث الا اطلق لهـم من جنسه وأباح من سنخه ونظيره وشبهه ما يعمل مثل عمله او قريباً منه . لينفيهم الحلال عن الحرام . اعـــني ما حرم بالسمع دون المحرم بالعقل .

قد حرم من الدم المسفوح ، واباح غير المسفوح ، كجامد دم الطحال والكبد واشبهها .

وحرم الميتة واباح الذكية .

واباح ايضاً ميتة البحر وغير البحر كالجراد وشبهه .

وحرّم الربا واباح البيع .

وحرّم بيع ما ليس عندك وأباح الصلح .

وحرّم السفاح واباح النكاح .

وحرم الخنزير واباح الجدي الرضيع والخروف والحوار .

والحلال في كل ذلك أعظم موقعاً من الحرام .

. . .

ولعل قائلا يقول : اهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلّم، وسكان حرمه ، ودار هجرته أبصر بالحلال والحرام والمسكر والخمر وما اباح الرسول وما حظره ، وكيف لا يكونون كذلك والدين ومعالمه من عندهم خرج الى الناس ، والوحي عليهم نزل ، والنبي صلى الله عليه وسلم فيهم دفن ، وهم المهاجرون السابقون والانصار المؤثرون على انفسهم ، وكلهم مجمع على تحريم الانبذة المسكرة وانها كالخمر .

وخلفهم على منهاج سلفهم الى هـذه الغاية حتى انهم جلدوا على الريح الخفي .

وكيف لا يفعلون ذلك ويدينون به وقـد شهدوا من شهد النبي صلى الله عليه وسلم قد حرمها وذمها وأمر بجلد شاربها .

ثم كذلك فعل ائمة الهدى من بعده ، فهم الى اليوم على رأي واحد وأمر متفق ، ينهون عن شربها ويجلدون عليها .

وانا نقول في ذلك : ان عظـم حق البلدة لا يحلّ شيئاً ولا يحرمه ، وانما يعرف الحلال والحرام بالكتاب الناطق والسنة المجمع عليها والنقول الصحيحة والمقاييس المعينة .

وبعد فمن هذا الهاجري والانصاري الذي رووا عنه تحريم الانبذة ثم لم يرو عنه التحليل ؟ بل لو انصف القائل لعلم ان الذين من اهل المدينة حرموا الانبذة ليسوا بأفضل من الذين أحلوا النكاح في ادبار النساء ! كما استحلّ قوم من اهل مكة عارية الفروج وحرّم بعضهم ذبائح الزنوج ، لانهم فيما زعموا مشوهو الخلق ، ثم حكموا بالشاهد واليمين خلافاً لظاهر التنزيل .

واهل المدينة وان كانوا جلدوا على الريح الخفي فقد جلدوا على حمل الزقّ الفارغ ، لانهم زعموا انه آلة الخمر ، حتى قال بعض من ينكر عليهم: فهلا جلدوا انفسهم لانه ليس منهم الا ومعه آلة الزنا ! وكان يجب على هذا المثال ان يحكم مثل ذلك على حامل السيف والسكين والسم القاتل ، في نظائر ذلك ، لان هذه كلها آلات القتل ! .

وبعد فأهل المدينة لم يخرجوا من طبائع الانس الى طبائع الملائكة . ولو كان كل ما يقولونه حقاً وصواباً لجلدوا مَنْ كان في دار معبد والغريض وابن سريج ودحمان وابن محرز وعلوية وابن جامع ومخارق وابن شريك ووكيع وحماد وابراهيم وجماعة التابعين والسلف المتقدمين ، لان هؤلاء فيما زعموا كانوا يشربون الانبذة التي هي عندهم خمر .

واولئك كانوا يعالجون الاغاني التي هي حلّ طلق على نقر

العيدان والطنابير والنايات والصنج والزيج والمعازف التي ليست محرمة ، ولا منهياً عن شيء منها . ولو كان ما خالفونا فيه من تحليل الانبذة وتحريمها كالاختلاف في الاواني وصفاتها واوزانها واختلاف مخارجها ووجوه مصارفها ومجاريها وما يدمج ويوصل منها للحنجرة والحنك والنفس واللهوات وتحت اللسان من نغمها ، واي الدساتين أطرب ، وأيها أصوب ، وما يحفز بالهمز او يحرّك بالفم ، وكالقول بان الهزج بالبنصر أطيب ، والسريع بالوسطى على الزير ألذّ ، وعلى المثنى والمصعد في لين أطرب ، ام المحدر في الشدة يسهل ذلك ولسلمنا علمه لمن يدعيه، ولم نجاذب مَنْ يدعي دوننا معرفته .

. . .

والذي دعاني الى وضع جميع هذه الاشربة والوقوف على اجناسها وبلدانها مخافة ان يقع هذا الكتاب عند بعض مَنْ عساه لا يعرف جميعها ، ولم يسمع بذكرها فيتوهّمني في ذكر اجناسها المستشنعة وانواعها المبتدعة كالهاذي برقية العقرب ، وإن كان قصدي لذكرها في صدر الكتاب لأقف على حلالها وحرامها ، وكيف اختلفت الأمة فيها ، وما سبب اعتراض الشك واستكمال الشبهة ، ولان أحتج للمباح واعطيه حقه ، واكشف ايضاً عن المحظور فأقسم له قسطه فأكون قد سلكت بالحرام سبيله ، وبالحلال منهجه اقتداءً مني بقول الله عزّ وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . »

وقد كتبت لك اكرمك الله تعالى في هـذا الكتاب ما فيه الجزاية والكفاية ، ولو بسطت القول لوجدته متسماً ولاتاك منـه الدهم ، وربما كان الاقلال في إيجاز اجدى من اكثار يخاف عليه الملل ، فخلطت لك جداً بهزل، وقرنت لك حجة بملحة، لتخف مؤنـة الكتاب على القارىء ، وليزيد ذلك في نشاط المستمع ، فجعلت الهزل بعد الجد جماماً ، والملحة بعد الحجة مستراحاً .

من رسالة الجاحظ إلى الحسين بن وهب
في مدح النبيذ

قال ابو عثمان :

انا ، ابقاك الله ، الطالب المشغول والقائل المعذور ، فان رأيت خطأ فلا تنكر ، فاني بصدده وبعرض منه ، بل في الحال التي توجبه والسبب الذي يؤدي اليه .

وان سمعت تسديداً فهو الغريب الذي لا تجده الاهم الا ان يكون من بركة مكاتبتك ويمن مطالبتك .

ولان ذكرك يشحذ الذهن ، ويصوّرك في الوهم ، ويجلو العقل . وتأميلك ينفي الشغل .

ولا يعجبني ما رأيت من قلة إطنابك في هذا النبيذ وقلة تلهّيك بهذا الشراب .

وانت تجد من فضل القول وحسن الوصف ما لا يصاب عند خطيب ولا يوجد عند بليغ .

وانت ، لو مشيت الخيلاء ، وحقّرت العظماء ، وارغبت الشعراء ، واعطيت الخطباء ليكون القول منهم موصولاً غير مقطوع ، ومبسوطاً غير مقصور ، لكنت بعد مقصراً في امره ، مفرطاً في واجب حقه .

فلا تأديب الله قبلت ، ولا قول الناصح سمعت .

سمعت قول الله تبارك وتعالى : « واما بنعمة ربك فحدّث » .

وقال الاول : إستدم النعمة باظهارها ، واسترد المواهب بادامة شكرها .

بل كيف انست بالجلساء وارسلت الى الاطباء ، ولم يكن في قربك ما يغنيك ، وفي النظر اليه ما يشفيك .

ولم ملكت نفسك دون ان تهذي ؟

ولم رأيت الوقار مرؤة قبل ان تستخف ؟

ولم كان الهذيان به هو الجد ؟ والسخف هو المرؤة ، والتناقض هو الصحة ؟ .

والا بأي شيء خصصت وبأي معنى اتيت ؟

ولم لم تخلع فيه العذار ، ولم لم تخرج فيه عن كل مقدار ؟

واي شيء اجرب جلدك وامات حالك واضعف مسرّتك واوحش منك رفيقك الا ّ العقوبة المحضة ، والا ّ الغضب والعقاب.

وحرمك الثواب الا التهاون في امره وقلة الرعاية لحقه ؟

وكيف صارت امراضي امراض الاغنياء وامراضك امراض الفقراء الا لمعرفتي بفضله واستخفافك بقدره ؟

الا ترى اني منقرس مفلوج وانت اجرب مبثور . فان تبت فما اقرب الفرج واسرع الاجابة .

وسنفرغ لك ، ان شاء الله قريباً ، وتفلح سريعاً .

وان اصررت وتتابعت وتماديت اتاك ، والله من سفلة الادواء، وزوى عنك من علية الامراض ما يضعك موضعاً لا ارتفاع معه ، ويلزق بعقبك عاراً لا زاول له ، ثم تتبع اشياخك السبة وتتبعهم المذقة .

علم الله انـــه استطرفك واستملحك واستحسن قدّك

واسترجح عقلك واحسن بك ظناً ، ورآك لنفسه اهلا،ولاتخاذه موضعاً وللأنس به مكاناً .

وانت لاهٍ عنه ، زارٍ عليه ، متهاون به .

قد اقبلت على ديوانك تشتغل بملازمته ، وتدع ما يجب عليك من صفاته ، والدعاء الى تعظيمه .

بل هل كنت من شيعته ، والذابّين عن دولته ، والمعروفين بالانقطاع اليه ، والانبتات في حبله الا ان يكون عندك التقصير لحقه ، والتهاون بأمره اللازم ، ونهي الناس عنه .

ولو خرجت الى هذا لخرجت من جميع الاخلاق المحمودة والافعال المرضية .

واحسب انك لا تعظمه ، ولا ترقّ له .

ولو لم تتعصّب إلا لجماله وحسنه ، ولو لم تحافظ على نقائه وعتقه لكان ذلك واجباً وامراً معروفاً ، فكيف مع المناسبة التي بينكما ، والشكل الذي يجمعكما ؟

فان كان بعضك لا يصون بعضاً ، وانت لا تعظّم شقيقاً فأنت والله من حفظ العشيرة ابعد ، ولمعرفة الصديق انكر .

ولقد نعيت الى لبك واثكلني حفاظك وافسدت عندي كل صحيح، وقد كان يقال: لا يزال الناس بخير ما تعجبوا من العجب.

قال الشاعر :

وهُلكُ الفتى انْ لا يُراح الى الندى
وأنْ لا يَرى شيئاً عجيباً فيُعجَبا

وقال بكر بن عبد الله المزني : كنا نتعجّب من دهر لا يتعجب اهله من العجب فصرنا في دهر لا يستحسن اهله الحسن. ومن لم يستحسن الحسن لم يستقبح القبيح .

وقال بعضهم : ترك التعجب من العجب . ولم اقل ذلك إلا لان تكون به ضنيناً وبما يجب له عارفاً ، ولكنك لم توفر حقه ولم تعرف نصيبه ، فان قلت : وَمنْ يقضي واجب حقه وينهض بجميع شكره . قلنا : هل اعذرت في الاجتهاد حتى لا يذم الا تعجبك ؟ وهل استغرقت الاعتذار حتي لا تعاب الا بما زاد على قوتك !

ولولا انك عين الجود لم نطلبه منك، ولولا ظنك لم نحمدك عليه، ولولا معرفتك بفضله لم نعجب من تقصيرك في حقه ، ولولا ان الخطأ فيك اقبح ، والقبيح منك اسمج وهو فيك ابين والناس فيه اكلف والعيون اليه اسرع لكان كتابنا كتاب مطالبة، ولم يكن كتاب معاتبة ، ولشغلنا الحلم لك عن الحلم عليك ، والقول لك عن القول فيك .

وقد كنت اهابك بفضل هيبتي لك، واجترىء عليك بفضل بسطك لي ، فمنعني حرص الممنوع، وخوف المشفق، وامن الواثق، وقناعة الراضي .

. . .

وبعد فمن طلب ما لا يجاد به ، وسأل ما لا يوهب مثله ممن يجود بكل ثمين ، ويهب كل خطير ، فواجب ان يكون من الرد

مشفعاً ، وبالنجح موقتاً . وإن كان ، ابقاك الله ، اهلا لان يمنع وكنت ، حفظك الله ، اهلاً لان تبـذل وجب ان يكون باذلاً وساكناً مطمئناً ، إلا ان يكون الحرب سجالاً والحالات دولاً . ولهذه الخصال ما وقـع الطلب وشاع الطمع ، فان منعت فعذرك مبسوط عند مَنْ عرف قدرك ، وانت بذلت فلم تعد الذي انت اهله عند من عرف قدرك ، الا انه لا يجود بمثله الا غني عن جميع الناس ، او عاقل فوق جميع الناس ، وكيف لااطلب طلب الجريء المتهور ، وامسك امساك الهائب الموقر ، وليس في الارض خلق يغتفر في وصفه المحال غيره ، ولا يستحسن الهذيان سواه !

على ان من الهذيان ما يكون مفهوماً ، ومن المحال ما يكون مسموعاً ، فمن جهل ذلك ولم يعرفه ، وقصّر لم يبلغه فليسمع كلام اللهفان والثكلان والغضبان والغيران ومرقصة الصبيان. والمنعظ اذا دنا منه الحلقي حتى اذا استوهبك لم تهب له منه حتى تقف له وقفـــة وتطارقه ساعة ، ثم تستحسن وتستشير ، ثم تشفق على مستوهبه ، وتعجب من شاربه ، ثم تطيـل الكتاب بالامتنان ، وتسطر فيه بتعظيم الانعام ، مع ذكر مناقبه ونشر محاسنه بقدر الطاقة ، ولم تبلغ الغاية فاعرف وزنه ، واشد بطيبه ، وأرخ ساعته ، واشهد في الناس يومه .

وما ظنك بشيء لا تقـدر ان تسرد في ذكره ، وتفرط في مدحه ، وتقصيرك واضح في كونه مكتوباً في طعمه ، موجوداً في رائحته .

إذ كان كل ممدوح يقصر عن مدحه وقدره ويصغر في جنبه.

ولو لم يستدل على سعادة جدك ، وإقبال امرك، وان لك زي صدق في المعلوم وحظاً في الرزق المقسوم ، وانك ممن تبقى نعمه ويدوم شكره ويفهم النعمة ويربّيها ، ويدرأ عنها ويستديمها ، الا انه إن وقع في قسمك وكان في نصيبك، لكان ذلك اعظم البرهان وأوضح الدلالة ، بل لا نقول انه وقع اتفاقاً وغرساً نادراً حتى يكون التوفيق هو الذي قصد به ، والصنع هو الذي دلّ عليه .

ولو لم تملك غيره لكنت غنياً ، ولو ملكت كل شيء سواه لكنت فقيراً .

وكيف لا يكون كذلك وهو مستراح قلبك ، ومجلي عقلك ، ومرتع عينك، وموضع انسك، ومستنبط لذتك ،وينبوع سرورك ، ومصباحك في الظلام ، وشعارك في جميع الاقسام ، وكيف وقد جمع أبهة الجلال ، ورشاقة الخلال ، ووقار البهاء، وشرف الخير،وعزّ المجاهدة، ولذة الاختلاس ،وحلاوة الدبيب !

• • •

وسأصف لك شرف النبيذ في نفسه ، وفضيلته على غيره ، ثم اصف فضل شرابك على سائر الاشربة ، كما أصف فضل النبيذ من سائر الانبذة ، لان النبيذ اذا تمشى في عظامك ، والتبس باجزائك ، ودبّ في جنانك ، منحك صدق الحس ، وفراغ النفس ، وجعلك رخي البال ، خلي الذرع ، قليل الشواغل ، قرير العين ، ولع الصدر ، فسيح الهمّ ، حسن الظن .

ثم سدّ عليك ابواب التهم ، وحسّن دونك الظن ،وخواطر الفهـم ، وكفاك مؤنة الحراسة والم الشفقة ، وخوف الحدثان ، وذلّ الطمع ، وكدّ الطلب ، وكلها اعترض على السرور ،وافسد اللذة ، وقاسم الشهوة ، واخلّ بالنعمة .

وهو الذي يردّ الشيوخ في طبائع الشبان ، ويردّ الشبان في نشاطالصبيان.وليس يخاف شاربه الا مجاوزة السرور الى الأشر، ومجاوزة الاشر الى البطر .

ولو لم يكن من اياديه ومننه ، ومن جميل آلائه ونعمه ، الا انك ما دمت تمزجه بروحك وتزاوج بينه وبين دمك ، فقداعفاك من الجد ونصبه ، وحسّن اليك المزاح والفكاهة ، وبغّض اليك الاستقصاء والمحاولة ، وازال عنك تعقّد الحشمة وكدّ المروءة . وصار يومـه جمـالاً لايام الفكرة وتسهيلا لمعاودة الرويّة ـ لكان ذلك ما يوجب الشكر ويطيب الذكر .

مع ان جميع ما وصفناه ، واخبرنا به عنه يقوم بأيسر الجرم واقل الثمن .

ثم يعطيك في السفر ما يعطيك في الحضـــر . . وسواء عليك البساتين والجنان .

ويصلح بالليل كما يصلح بالنهار ، ويطيب في الصحو كمايطيب في الدجن ، ويلذّ في الصيف ، كما يلذّ في الشتاء ..

ويجري مع كل حال ، وكل شيء سواه فانما يصلح في بعض الاحوال .

ويدفع مضرة الخمار كما يجلب منفعة السرور .

إن كنت جذلاً ، كان باراً بك .

وان كنتَ ذا همّ نفاه عنك .

وما الغيث في الحرث أنفع منه في البدن .

وما الريش السخام بأدفأ منه للمقرور .

ويستمرأ به الغذاء ، ويدفع به ثقل الماء ويعالج به الادواء ، ويحمّر به الوجنتان ، ويعدل به قضاء الدين .

إن انفردت به الهاك ..

وان نادمت به ساواك

ثم هو أصنع للسرور من زلزل ، واشدّ إطراباً من مخارق ، وقدر احتياجها اليه كقدر استغنائه عنها .

لانه اصل اللذات وهما فرعه .

وهو اول السرور ونتاجه .

ولله در أول من عمله وصنعه ..

وسقياً لمن استنبطه واظهره . ماذا دبرّ وعلى اي شيء دلّ .

وبأي معنى انعم ، وأي دفين أثار ، وأي كنز استخرج !

ومن استغناء النبيذ بنفسه وقلة احتياجه الى غيره ان جميع ما ساواه من الشراب يصلحه الثلج ولا يطيب الا به .

واول ما نثني عليه به ، ونذكر منه ، انه كريم الجوهر ، شريف النفس ، رفيع القدر ، بعيد الهم .

وكذلك طبيعته المعروفة ، وسجيته الموصوفة ، وانه يسرّ

النفوس ، ويحبّب اليها الجود ، ويزيّن لها الاحسان ، ويرغبها في التوسع ، ويورثها الغنى ، وينفي عنها الفقر ، ويملأها عزاً ، ويعدها خيراً ، ويحسن المسارّة ، ويصير به البيت خصباً ، والجناب مريعاً ومأهولاً مغشياً .

وليس شيء من المأكول والمشروب اجمع للظرفاء ولا اشدّ تألفاً للادباء ، ولا اجلب للمؤنسين ، ولا أدعى الى خلاف المتنعين ، ولا اجدر ان يستدام به حديثهم ، ويخرج مكنونهم ، ويطول به مجلسهم – منه .

وان كل شراب وان كان حلا ورق وصفا ودقّ وطاب وعذب وبرد ونفح ، فان استطابتك لاول جرعة منه أكثر ، ويكون من طبائعك أوقع ، ثم لا يزال في نقصان إلا ان يعود مكروهاً وبليةً الا النبيذ .

فان القدح الثاني اسهل من الاول ، والثالث ايسر ، والرابع ألذّ ، والخامس اسلس ، والسادس أطرب ، الى ان يسلّمك الى النوم الذي هو حياتك او أحد اقواتك .

ولا خير فيه إذا كان إسكاره تغلباً ، واخذه بالرأس تعسفاً ، حتى يميت الحسَّ بحدته ، ويصرع الشارب بسورته ، ويورث البهر بكظته ، ولا يسري في العروق لغلظته ، ولا يجري في البدن لركوده ، ولا يدخل في العمق ، ولا يدخل في الصميم .

ولا والله حتى يغازل العقل ويعارضه ، ويداعبه ويخادعه ، فيسره ثم يهره ، فاذا امتلأ سروراً وعاد ملكاً محبوراً خاتله السكر وراوغه ، وداراه وما كره ، وهازله وغانجه .

وليس كما يغتصب السكر ويعتسف الذاذي ،ويفترس الزبيب. ولكن بالتنقير والغمز والحيلة والختل ، وتحبيب النوم ، وتزيين الصمت .

وهذه صفة شرابك الا ما نحيط به من نعوته بتبذل ، الا ما يقبح منها الجهل به .

. . .

وخير الاشربة ما جمع المحمود من خصالها وخصال غيرها .

وشرابك هذا قد أخذ من الخمر دبيبها في المفاصل ، وتمشّيها في العظام ، ولونها الغريب .

وأخذ برد الماء ورقة الهواء .

وحمرة خدّك اذا خجلت ، وصفرة لونك اذا فزعت ، وبياض عارضيك اذا ضحكت .

وحسبي بصفاتك عوضاً من كل حسن، وخلفاً من كل صالح.

ولا تعجب ان كنت نهاية الهمة وغاية الامنية .

فان حسن الوجه اذا وافق حسن القوام ، وشدة العقل ، وجودة الرأي ، وكثرة الفضل، وسعة الخلق ، والمغرس الطيّب، والنصاب الكريم ، والطرف الناصع ، واللسان المفحم ، والمخرج السهل ، والحديث المونق ، مع الاشارة الحسنة ، والنبل في الجلسة ، والحركة الرشيقة ، واللهجة الفصيحة ، والتمهّل في المحاورة ، والهذّ عند المناقلة ، والبدي البديع ، والفكر الصحيح والمعنى الشريف ، واللفظ المحذوف ، والايجاز يوم الايجاز ،

والاطناب يوم الاطناب ، يفل الحزّ ويصيب المفصل ، ويبلغ بالعفو ما يقصر عنه الجهد ـ كان اكثر لتضاعف الحسن واحق بالكمال والحمد .

. . .

وان التاج بهي وهو في رأس الملوك أبهى ..
والياقوت الكريم حسن وهو في جيد المرأة الحسناء أحسن،
والشعر الفاخر حسن وهو من الاعرابي أحسن .
فان كان من قول المنشد وقربضه ، ومن نحته وتحبيره فقد بلغ الغاية وقام على النهاية .

. . .

وهذا الشراب حسن ، وهو عندك أحسن ، والهدية منه شريفة ، وهي منك أشرف .

وان كنت قدّرت اني انما طلبته منك لأشربه ، أو لأسقيه، او لأهبه ، او لاتحساه في الخلا ، او أديره في الملا ، او لانافس فيه الاكفاء ، واختبر زيادة الخلطاء ، او لاتبذله لعيون الندماء، او اعرضه لنوائب الاصدقاء ، فقد اسأت بي الظن ، وذهبت من الاساءة بي في كل فن، وقصرت به فهو أشدّ عليك،ووضعت منه فهو أضرّ بك .

وان ظننت اني انما اريده لأطرف به معشوقة ، أو لأستميل به هوى ملك ، او لأغسل به وضر الافئدة ، او أودي به خطايا الأشربة ، او لأجلو به الابصار العليلة ، او اصلح به الابدان

الفاسدة ، او لأتطوّل به على شاعر مفلق ، او خطيب مصقع ، او اديب مدقع ، ليفتق لهم المعاني ، وليخرج المذاهب ، ولما في جانبهم من الاجر ، وفي اعناقهم من الشكر ، ولينقضوا ما قالت الشعراء في الجد ، وليرتجموا ما شاع لهم من الذكر ..

فاني اريد ان اضع من قدرها ، وان اكسر من بالها ، فقد تاهت وتيه بها ، او لان اتفاءل برؤيته واتبرّك بمكانه ، وآنس بقربه ، أو لأشقي به الظمآن ، او أجعله اكبر اصحاب الكيمياء ، او لان اذكرك كلما رأيته ، واداعبك كلما قابلته ، او لاجتلب به اليسر وأنفي العسر ، او لانه والفقر لا يجتمعان في دار ، ولا يقيمان في ربع ، ولا تعرّف به حسن اختيارك ، واتذكّر به جودة اجتبائك ، او لان استدلّ به على خالص حبك ، وعلى معرفتك بفضلي ، وقياسك بواجب حقي . فقد احسنت بي الظن وذكرت من الاحسان في كل فن ، بل هو الذي اصونه بصيانة الاعراض ، وأغار عليه غيرة الازواج .

واعلم انك إن اكثرت لي منه خرجت الى الفساد ، وان اقللت اقمت على الاقتصاد .

وانا رجل من بني كنانة ، وللخلافة قرابة ، ولي فيها شفعة ، وهم بعد جنس وعصبة .

فأقل ما أصنع أن اكثرت لي منه ان اطلب الملك ، واقل ما يصنعون بي أن انفى من الأرض ، فان اقللت فانك الولد الناصح ، وان اكثرت فانك الغاشّ الكاشح والسلام .

. . .

خمريات

قصائد ومقطوعات من الشعر العربي في الخمر
منذ العصر الجاهلي إلى القرن العشرين

مُنذُ العَصرِ الجاهِلِيّ ...

الاعشى الكبير – ميمون بن قيس

« اقترن ذكر الاعشى عند القدماء بشعر الخمر، فعدّوه اشعر شعرائها بين الجاهليين

. . .

« اطال الاعشى في شعر الخمر وفصّل ، وافتنّ في وصفها ووصف بيوتها وتصوير أثرها في النفس ، وقدّم لنا صوراً دقيقة رائعة لمجالسها في بيئات منوعة متباينة ، بعضها حضري مترف ، وبعضها ريفـــي ساذج ، وأتّسمت خمرياته بالسهولة والسلاسة والخلاعة وتدفق العاطفة ، وكان موفقاً غاية التوفيق في اختيـار القوالب الشعرية التي تناسب الفن .

. . .

« في احدى قصائده يعرض علينا ما كان بينه وبين الخمّار في اسلوب قصصي رائع تملؤه الحياة ، وهو يصوّر الخمّار علجاً غير عربي ، فيصفه بانه « أزرق العينين » ويسميه « حدّاداً » ، وكأنه حارس يذود الناس عن هذا الكنز الثمين من الخمر المختار من بكار القِطاف، وقد احتوته خابية ضخمة سوداء طليت بالقار، وضمنّت جودتها له ان لا تكسد عنده فهو ضنين بها ، يساوم في ثمنها مغالياً . وينظر الاعشي الى هذه الخابية الضمة فيقول للخمّار

مشيراً اليها « هذه ، هاتها » ما اريد غيرها ، وخذ فيها ماشئت . ويبذل له في ثمنها ناقة بيضاء في حبل عبدها القائم على خدمتها . . ولكن الخمار يتلكأ في إجابتهم ، وقد علم شدة حرصهم على هذه الخمرة فيقول : بـــل تزيدوني فوقها تسعة ، وما اراكم توفون ثمنها بشيء .

فيقول الاعشى للخادم : وهـو على شوق وعجل ، يضن بالوقت ان يضيع في هذه المساومة المملة :

أعطه ما يريد ..

وينتظر الخمار .. حتى اذا رأى الخادم يخرج المـال ، اضاء خباءه الكبير بالسراج ، وقـد تدلّت هُدُبُه يغمرها الظلام ، وراح ينقدالدراهم قبل ان يبذل خمره.فيصيح به الاعشى متعجلا:

دراهمنـا كلهـا جيّــد

فـلا تحبسَنّـا بِتَنْقادِها

ويعمد الخمّار الى الدنّ ، يصبّ لهم خمراً تتمشى نشوتهـا في المفاصل فتُرْعِدُها ، ثم تستسلم للذتها فتسكن هامدة فاترة . تبدو حين تبذل سوداء ، فاذا مزجت بالمـــاء ، وسكنت بعد إزبادها ، تكشفت عن لون أحمر جميل .

تبدو في أسفل الدن اذا أماله ليصبّ منه بعد ان طالقعوده، وقد تناقصت حتى اجتمعت في أسفله ، كأنها حوصلة النعـام ، ويجول الخمّار بأبريقه ، وقد تخضّبت كفـه بما يحمل من خمر

حمراء، ولا يزال يسقيهم حتى يُنفِد خمره، وهم مالكون لرشدهم، لم يُنفِدوا عقولهم، وإن كانوا قد انفذوا خمر الخمار. فيقومون الى ركابهم وخيلهم، وقد باتت على باب الخباء بأكوارها وألبادها، تستخفّهم النشوة، وتثور بهم جائرة ـ وقد ظهر اثرها ـ بعد قصد واعتدال » (١)

نشـــوة

قال يخاطب صديقه :

أتاني يُؤامِرُني في الشَّمُو ل ليلاً فقلت له غادِها (٢)
أرحنا نُباكرُ جِدَّ الصَّبو ح قبلَ النفوس وحسادها(٣)
فَقُمنا ولما يصِحْ ديكُنا الى جَوْنةٍ عند حدادها(٤)
تنخّلها مِنْ بكار القِطاف أزيرقُ آمِنُ إكسادِها(٥)

---

(١) ديوان الاعشى الكبير شرح وتعليق الدكتور م.محمد حسين

(٢) الشمول : الخمر (٣) أرحنا : اراح الرجل رجعت اليه نفسه بعد الاعياء وصار مستريحاً . جدّ الصبوح : الجد العجلة . الصبوح : خمر الصباح .

(٤) جونة سوداء يقصد خابية الخمر لانها كانت تطلى بالقار . حدادها: صاحبها الذي يحدّ الناس اي يزودهم عنها لنفاستها.

(٥) بكار القطاف : اول ما يقطف. أزيرق : هو الخمار جعله ازرق لانه علج ليس عربياً ، وتسميهم العرب كذلك لزرقة عيونهم .

فَقُلنا له هـذه هاتِهـا بأدما في حَبلِ مُقتادِها (١)
فقـال تَزيدُونني تِسعَةً وليست بعدلٍ لأَندادها
فقلتُ لمنصفِنـا أعطِـه فلما رأى حضرَ شُهادها (٢)
أضاء مظلّتــهُ بالسّرا جِ والليلُ غامرُ جُدّادها
دراهِمُنا كلُّهـا جيّدٌ فلا تحبِسَنّا بتنقادهـا
فقـام فصبَّ لنـا قهوةً تُسكّننا بعد إرعادِهـا
كُميتاً تكشّفُ عن حمرةٍ اذا صرّحت بعد إزبادها (٣)
كحوْصلة الرأل في دَنّها إذ صُوّبتْ بعد إقعادها (٤)
فجالَ علينـا بأبريقــه مُخضّبُ كفٍّ بفرصادها
فباتتْ ركابٌ بأكوارها لدينـا وخيـلٌ بألبادهـا
لقومٍ فكانوا همُ المنفذين شرابَهُمُ قبـل إنفـادهـا
فرُحنـا تُنعِّمُنـا نشوةٌ تجورُ بنـا بعـد إقصادهـا

---

(١) أدماء ناقة صادقة البياض سوداء الاشفار .

(٢) المنصف والناصف : الخادم والوصيف . شهادها : الدراهم.

(٣) كميت حمراء تضرب الى السواد ، فاذا مزجت ذهب سوادها وصارت حمراء ، صرحت : ذهب زبدها .

(٤) الرأل : ولد النعام : اي انها تناقصت لطول مكثها في الدن حتى صارت في اسفله كحوصلة الرأل . صوّبت : اميلت وصبّت . اقعادها طول بقائها في الدن . الفرصاد : التوت وهو احمر .

وكأس شربت على لذة

ومن قصيدة يصف الخمرة ، بعد ان يصف، وهو في الثمانين من عمره ، ليلة من عبثه وفجوره .. او ليلة من اياليه الحمراء كما يقال بلغة اليوم يقول :

ألمْ تنْهَ نفسك عمّا بها ؟ بلى،عادها بعضُ أطرابها(١)
لجارتنا ، اذ رأت لمّتي تقول:« لكَ الويل،انىّ بها!»(٢)
فأن تعهديني ولي لمّـةٌ فأن الحوادث ألوى بها!(٣)

• • •

وكأسٍ شربتُ على لذّة واخرى تداويتُ منها بها
لكي يعلم الناسُ اني امرؤٌ أتيت المعيشة من بابها
كُميت يُرى دون قعر الأنى كمثل قذى العين يقذى بها(٤)
وشاهدُنا الوردُ والياسمين والمُسمعاتُ بقُصّابها (٥)

---

(١) أطراب جمع الطرب وهو الشوق .

(٢) اللمة : الشعر الذي جاوز شحمة الاذن .

(٣) الوى بها الحوادث : ذهبت بها .

(٤) كميت : حمراء تضرب للسواد . الانى : الاناء قصر المد للتخفيف . القذى:ما يسقط في العين او في كأس الخمر من الغبار ونحوه .

(٥) المسمعات : الجواري التي تغنّي . قصاب : جمع قاصب وهو الزامر في القصب .

ومِزْهرُنا مُعملٌ دائمٌ فأي الثلاثة أزرى بها (١)
ترى الصنج يبكي له شجوهُ مخافة ان سوف يدعى بها(٢)
مضى لي ثمانون من مولدي كذلك تفصيلُ حُسّابها
فأصبحت ودعّت لهو الشبا ب والخندريس لاصحابها (٣)
أحب أثافت وقت القطاف ووقت عُصارة اعنابها (٤)
وكعبة نجران حتم علي ك حتى تناخي بأبوابها
نزور يزيد وعبد المسي ح وقيساً ، هم خيرُ اربابها
اذا الحبرات تلوّثْ بهم وجروّا اسافل هداّبها (٥)
لهم مشرباتٌ لها بهجةٌ تروق العيون بتعجابها(٦)

• • •

---

(١) المزهر : العود ، وقد يطلق على الدف الكبير ينقر عليه . ازرى به : عابه .

(٢) الصنج : دوائر صغار من النحاس تعلّق بالاصابع وتنقر عليه الراقصة . الشجو : الحزن .

(٣) الخندريس : الخمر القديمة ،(٤) اثافت : قرية باليمامة كثيرة الكروم يقال ان الاعشى كان يعصر فيها الخمر في معصر له.

(٥) الحبرات : جمع حبرة « بثلاث فتحات » وهي ضرب من برود اليمن . والهداب : الخيوط التي تبقى في طرف الثوب، او هو طرف الثوب. (٦) المشربة : ارض لينة دائمة النبات، وهي كذلك الغرفة لأنهم يشربون فيها .. او هي العلّية .

كعين الديك

وكأسٍ كعين الديك باكرتُ حدَّها
بغرتها ، اذ غاب عني بغاتُها (١)
كميتٍ عليها حُمرةٌ فوق كُمتة ،
يكاد يفري المِسْكَ منها حُماتها (٢)
وردتُ عليها الريف حتى شربتُها
بماء الفرات ، حولنا قصباتها (٣)
لعمرك ! ان الراح ، ان كنت سائلاً ،
لمختلفٌ غديها وعشاتُها (٤)
لنا من ضحاها خبث نفسٍ ، وكآبةٌ ،
وذكرى هموم ما تغب اذاتها (٥)

---

(١) كعين الديك : وفي رواية ثعلب : كماء النيّ : اراد به اللحم النيّ الذي لم يطبخ ، اي الدم تشبيهاً للخمر بحمرته . حدّ الشراب : سورته وصلابته . الغرة : الغفلة ، بغاتها : طلابها .

(٢) الكمتة : الحمرة تضرب للسواد. يفري: يشق. المسك:الجلد

(٣) القصبات : المزامير يزمر فيها الزمرات في دور الخمر .

(٤) الغداة : اول النهار . والعشاة : آخره .

(٥) الضحى : عند ارتفاع النهار . ما تغب : ما تفتر ولا تنقطع .

وعنـد العشي طيبُ نفسٍ ولَذّةٌ
وماءُ كثيرٍ غُدوةً نشواتُها (١)
على كل احوال الفتى قد شربتهـا
غنياً ، وصعلوكاً ، وما إن أقاتُها (٢)
اتانـا بهـا الساقي ، فأسند زقــــهُ
الى نُطفةٍ زلّت بهـا رصفاتُها (٣)
وقوفـاً فلمـا حان منـا اناخةٌ
شربنـا قعوداً خلفنـا رُكباتهـا (٤)

---

(١) النشوات : ج نشوة : سكرة .. اي انهم اذا سكروا وهبوا المال الكثير .

(٢) اقاتها : اقات الشيء : اطاقه ، اقتدر عليه .

(٣) الزق : قربة صغيرة يحمل فيها الخمر . نطفة : غدير . الرصفات : الحجارة المتراصفة بعضها الى بعض .

(٤) اناخة : من اناخ البعير : بركه . ناقــــة ركوبة وركباة تركب او مذللة .

خمر خسروانية

ومن قصيدة اخرى :

وطِلاءٍ خُسْروُانيٍ اذا ذاقه الشيخ تغنّى وارجحن(١)
وطنابير حِسانٍ صوتُها عند صنج كلما مُسَّ أرَنّ(٢)
واذا المُسمِعُ أفنى صَوْتَه عزفَ الصنج، فنادى صوتَ وَنْ
واذا ما غُضَّ من صوتها واطاعَ اللحنُ، غنانا مُغَنْ
واذا الدنّ شربنا صفوَهُ أمروا عَمْراً فناجوه بدن (٣)
بمتاليفَ أهانوا ما لَهُمْ لغناء وللعبٍ ، وأذَنْ (٤)

---

(١) الطلاء : الخمر . الخسرواني : نسبة الى خسرو بن انوشروان احد ملوك العجم . ارجحن : مال واهتز .

(٢) طنابير : ج طنبور : آلة طرب ذات عنق طويل وستة اوتار من نحاس . رنّ او ارن : علا صوته فكان له رنين .

(٣) الدن : وعاء كبير للخمر من الفخار . عمرو : اسم الساقي صاحب الحانة .

(٤) اذن : سماع . فعله اذن « كعلم » . متاليف : جمع متلاف وهو المبذر الذي يتلف ماله وينفقه .

فترى إبريقهم مسترعِفاً بشمولٍ صُفِّقت من ماء شن(١)

غُدوةً حتى يميلوا أصلاً مثل ما ميل بأصحاب الوسن(٢)

ثم راحوا، مغرب الشمس، الى قُطف المشي، قليلات الحزن(٣)

(١) مسترعفاً : اي مملوءاً حتى يفيض . واصله من الرعاف وهو الذي يسيل من الانف . الشمول : الخمر الباردة التي شملتها ريح الشمال اي ضربتها فبردت . صفق الخمر : روّقها او مزجها بالماء . الشنّ : القربة الناعمة التي اخلقها الاستعمال فهي تبرد الماء اذا حفظ فيها .

(٢) الغدوة : من بعد الفجر الى طلوع الشمس . الاصيل : من بعد العصر الى غروب الشمس . الوسن : النوم .

(٣) قطف المشي : اراد بها المرأة القصيرة الخُطى ، المتمهلة في سيرها .. ويصف هنا بيتاً من بيوت الفسق .

عدي بن زيد العبادي

عاش في الحيرة في اواخر العصر الجاهلي . لم يرو له الرواة كثيراً في الخمر ، ولكن ما يروى عنه يدلّ على انه كان كلفاً ، وفيها مجيداً .

من شعره هذه المقطوعة التي كانت تغنّى للوليد بن يزيد فيستعذبها ويشرب عليها حتى يسكر :

اما تستفيق ؟

بكّر العاذلون في وضح الصبْح يقولون لي أما تستفيقُ
ويلومون فيك يابنـة عبد الله والقلبُ عندكم موثوق

لست أدري إذْ أكثروا العذل فيها
أعـدوٌّ يلومني ام صديق
ثم ثاروا الى الصَّبوح فقامتْ
قينــةٌ في يمينها إبريــقُ
قدّمتـه على عقـار كعين الديـ
ـك صفَّى سلافها الراووق
مزّةٌ قبـل مزجها فاذا مـا
مزجت لذَّ طعمها من يذوق
وطفتْ فوقها فقاقيـع كالد
رّ صغار يثيرها التصفيق

عنترة بن شدّاد

بين الصحو والسكر

ولقد شربت من المدامة ، بعدما
ركد الهواجر ، بالمشوف المعلم (١)
بزجاجةٍ صفراء ، ذات أسرّةٍ
قرنت بأزهر ، في الشمال ، مفدّم (٣)
فاذا شربتُ ، فأنني مستهلك
مالي ، وعرضي وافرٌ لم يكلم (٣)
واذا صحوت ، فما اقصّر عن ندى
وكما علمت شمائلي وتكرّمي

---

(١) المدامة : الخمرة . ركد : سكن . الهواجر : ج . هاجرة اشدّ اوقات النهار حراً . الظهيرة . المشوف : المجلو . صفة الدينار المحذوف . المعلم : الذي فيه كتابة .

(٢) ذات اسرة : ذات طرائق وخطوط . قرنت بازهر : اي جعلت الى جنب ابريق الزهر . المفدّم: عليه الفدام : المصفاة

(٣) لم يكلم : اي لم يؤثر به ذم .

المنخل اليشكري

من شعراء العراق ، كان يعيش في الحيرة ، ويعاصر النابغة ، وينادم النعمان .

بالصغير والكبير

ولقد دخلتُ على الفتـاة الخدرَ   في اليوم المطيرِ
الـكاعب الحسناءِ تر   فلُ في الدمقس وفي الحرير
فدفعتُهـا ، فتدافعتْ   مشي القطاة الى الغدير
فلثمتُهـا ، فتنفّستْ   كتنفسِ الظـبي البهير
ولقد شربتُ من المُدامـةِ   بالصغير وبالكبير
فاذا سكرتُ فانـني   رب الخورنقِ والسّدير
واذا صحوتُ فانـني   رب الشويهـة والبعير
يا هـنـد من لِمُتيَّم   يا هندُ للعـاني الاسير

عمرو بن كلثوم

من شعراء المعلقات

خمور الاندرين

الا هُبّي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا (١)
مشعشعة كأن الحُصّ فيها اذا ما الماء خالطها سخينا(٢)
تجور بذي اللُبانة عن هواه ، اذا ما ذاقها ، حتى يلينا (٣)
ترى اللَحِز الشحيح اذا امرّت عليه ، لماله ، فيها،مهينا (٤)
وانا سوف تدركنا المنايا مقدّرة لنا ومقدرينا

---

(١) الصحن : القدح الكبير . اصبحينا : اسقينا الصبوح : الشرب صباحا . الاندرين : قرية في جنوبي حلب .

(٢) الحُص : نبت له زهر احمر الى الصفرة يشبه الزعفران سخيناً : في معنى هذه اللفظة قولان : الاول انها فعل من السخاء والنون للجمع فيكون المعنى : اذا شربنا فاننا نسخو ونجود بمالنا . والثاني : صفة من السخونة فتكون حالا للماء . ومن عادة الروم الاقدمين ان يشربوا الخمر بالماء السخين (٣) اللبانة : الحاجة .

(٤) اللحز : الضيّق الصدر .

طرفة بن العبد

من معلقته :لخولة أطلال ..

ايهـذا الـــلائم

وان تبغِني في حلقة القوم ، تلقني
وان تقتنصني في الحوانت تصطدِ (١)
وان يلتق الحيّ الجميع ، تلاقني
الى ذروة البيت الكريم المصمّد (٢)
متى تأتني أصبحك كأساً رويّة
وان كنت عنها ذا غنى ، فاغنَ وازدد (٣)
نداماي بيض كالنجوم ، وقينة
تروح الينا بين بُردٍ ومُجْسدِ (٤)
اذا نحن قلنا :«أسمعينا !» انبرت لنا
على رسلها مطروفةً لم تشدّدِ (٥)

(١) الحوانيت : بيوت الخمارين . (٢) المصمد : الذي يصمد اليه الناس اي يقصدون .(٣) أصبحك : اسقيك صبوحاً
(٤) بيض كالنجوم : اي احرار مشهورون . المجسد : الثوب المصبوغ بالجساد وهو الزعفران .
(٥) على رسلها : على مهلها . مطروفة : فاترة النظر . لم تشدد: لم تجتهد . اي انها تغني عفواً دون تكلف .

اذا رجّعت في صوتها ، خلت صوتها
تجاوبَ أظآر على رُبَعٍ ردي (١)

وما زال تشرابي الخمورَ ، ولذتي ،
وبيعي وانفاقي طريفي ومُتلدي (٢)

الى ان تحامتني العشيرة كلّها ،
وأفردت إفرادَ البعير المعبّدِ (٣)

رأيت بني غبراءَ لا ينكرونني ،
ولا أهلُ هذاك الطراف الممدّد (٤)

الا أيها ذا اللائمي أشهد الوغى ،
وان احضر اللذاتِ ، هل انت مخلدي؟

فان كنت لا تستطيعُ دفع منيتي ،
فدعني ابادرْها بما ملكت يدي

---

(١) أظآر : ج ظئر : التي لها ولد . رُبَع : من ولد الابل. ردي : هالك (٢) التشراب : الشرب الكثير . الطريف : المال المستحدث . المُتلد : المال الموروث . (٣) تحامتني : تجنبتني . المعبد : المطلي بالقطران . دلالة على انه مصاب بالجرب .

(٤) بنو غبراء : الغبراء : الارض . . واراد بني غبراء : الفقراء . الطراف : قبة من أدم ، لا تكون الا للاغنياء .

فلولا ثلاثٌ هنّ من لذة الفتى
وجدك ، لم أحفِلْ متى قام عوّدي

فمنهن سبقي العاذلاتِ بشربةٍ
كُميتٍ ، متى ما تُعْلَ بالماء تزبد

وكرّي ، اذا نادى المضاف ، محنَّباً
كسيد الغضا ، نبّهته ، المتورد (١)

وتقصيرُ يوم الدَجْنِ ، والدجنُ معجبٌ
ببهكنةٍ تحت الخباء المعمّد (٢)

---

(١) المضاف : الملجأ . محنباً : صفة للفرس . السيد : الذئب . الغضا : شجر خصّ الذئب به لانه يكون اخبث الذئاب .

(٢) يوم الدجن : اليوم يكون فيه غيم وندى وبعض المطر . البهكنة : المرأة الحسنة الخلق . الخباء : المضرب . المعمد : المرفوع بالعمد .

لشاعر قديم

الخمر ولذات الحياة

قومي اصبحيني فما صيغ الفتى حجراً
لكن رهينةَ احجار وأرماس
قومي اصبحيني فان الدهر ذو غير
أفنى لُقَيْماً وأفنى آل مرماس
اليوم خمر ، ويبدو في غدٍ خبر
والدهر من بين إنعام وإبآس
فاشرب على حدثان الدهر مرتفقاً
لا يصحب الهمّ قرعَ السن بالكاس

خمر عانه

وشاربٍ مُربحٍ بالكأس نادمني ،
لا بالحصور ، ولا فيها بسوّار (١)
نازعته طيّب الراح الشمول ، وقد
صاح الدجاج وحانت وقعة الساري (٢)
من خمر عانة ، ينصاع الفرات لها
بجدول صخب الآذيّ مرّار (٣)
كُمّت ثلاثة احوال بطينتها ،
حتى اذا صرّحت من بعد تهدار (٤)

---

(١) المربح: الذي ينحر لضيفانه الرُبح : الفصلان . الحصور: البخيل . السوار : المعربد .

(٢) وقعة الساري : من وقعت الابل : بركت . والسأري : المسافر ليلا . (٣) عانة : مدينة على الفرات مشهورة بجودة خمرها . الصخب : الذي يسمع له صوت من تلاطم امواجه . (٤) كمّ الشيء : طيّنه وسدّه . صرحت الخمر: ذهب زبدها . هدر الشراب : غلا . .

آلتْ الى النصف من كلفاء أترعها
علج ، ولثّمها بالجفن والغار (١)
ليست بسوداء من ميثاء مظلمة ،
ولم تعذب بادناء من النار (٢)
لها رداءان : نسج العنكبوت ، وقد
حُفّت بآخر من ليف ومن قار
صهباء ، قد كلِفت من طول ما حُبست
في مُخدَع بين جنّات وأنهار (٣)
عذراء ، لم يجتل الخُطّاب بهجتها
حتى اجتلاها عِباديٌّ بدينار (٤)
في بيت مُنخرق السّربال مُعتمِل ،
ما إن عليه ثياب غير أطهار

(١) كلفاء : ما خلط حمرتها شيء من سواد . الجفن : الكرم
(٢) الميثاء : الارض السهلة .
(٣) كلفت : تغير لونها الى الاغبرار . المخدع : البيت الصغير يكون داخل البيت الكبير .
(٤) العبادي : منسوب الى عباد : قبائل شتى من نصارى العرب بالحيرة .

اذا أقول تراضينا على ثمن ،
ضنّت بها نفس خبّ البيع مكّار(١)
كأنما العِلج ، اذ أوجبتُ صفقتها
خليع خصلٍ نكيب بين اقمار (٢)
لما أتوها بمصباح ومبزلهم
سارت اليهم سؤور الأبجل الضاري(٣)
تدمى ، اذا طعنوا فيها بجائفة
فوق الزجاج ،عتيقٌ ، غيرَ مُسطار (٤)
كأنما المسك نهبى بين أرحُلنا
مما تضوّع من ناجودها الجاري (٥)

---

(١) خبّ : خدّاع

(٢) صفقتها: بيعها . الخليع : المقمور . الخصل : ما يتقامر عليه. النكيب : المنكوب: من اصابته نكبة. اقمار ج قمير :مقامر

(٣) المبزل : الثقب في جانب الخابية تجري منه الخمر صافية ويبقى العكر في قعرها . سارت : وثبت وثارت . الابجل : عرق يكون في الدواب ، وهو في الانسان الاكحل : عرق في الذراع يفصد . الضاري : العرق الذي بدا منه الدم ، لا يكاد ينقطع (٤) الجائفة : الطعنة تبلغ الجوف . العتيق : الخالص . المسطار : الحديث .

(٥) الناجود : كل اناء يكون فيه الشراب ، واول ما يخرج من الخمر اذا بزل عنها الدن .

صريع مدام

كأني غداة انصعن للبين، مسلمٌ ... بضربة عنق، اوغوي معدل«١»

صريع مدام، يرفع الشرب رأسه ... ليحيا وقد ماتت عظام ومفصل«٢»

نهاديه احياناً ، وحيناً نجرّه ... وما كاد الا بالحُشاشة، يعقل «٣»

اذا رفعوا عظماً، تحامل صدره، ... وآخر ، مما نال منها ، مخبّل

شربت ولاقاني ، لحلّ اليّتي، ... قطار تروّى من فلسطين مثقل(٤)

عليه من المعزى، مسوك روية، ... مملاءة ، يُعلى بها ويعدّل «٥»

فقلت: أصبحوني، لا ابا لابيكم ! ... وما وضعوا الاثقال الا ليفعلوا

اناخوا، فجرّوا شاصيات، كأنها ... رجال من السودان لم يتسربلوا«٦»

وجاءوا ببيسانية ، هي ، بعدَ ما ... يعلّ بها الساقي الذ واسهل«٧»

«١» مسلم : مستكين. بضربة عنق : اي كمن ضربت عنقه . الغويّ : مَنْ يلام على فعله.

«٢» الشرب : ج الشارب.

«٣» نهاديه : نسوقه . الحشاشة : بقية الروح .

«٤» الالية : اليمين .

«٥» مسوك : ج مسك : الجلد . ويعني الزق . روية : ضخام.

«٦» شاصيات : زقاق مرتفعات القوائم من امتلائها ـ اي القرب اذا كانت مملوءة .

«٧» بيسانية : نسبة الى بيسان بناحية الاردن.

تمرّ بها الايدي سنيحاً وبارحاً وتوضع باللهمّ حيّ،وتحمل«١»
وتوقف ، احياناً ، فيفصل بيننا غناء مغنّ،او شواء مرعبل«٢»
فلذّت لمرتاح وطابت لشارب، وراجعني منها مراح واخيل«٣»
فما لبثتنا نشوةٌ ، لحقت بنا توابعها ، مما نُعلّ وننهل
تدبّ دبيباً في العظام ، كأنه دبيب نمال في نقا يتهيل «٤»
فقلت : اقتلوها عنكم بمزاجها ، فأطيب بها مقتولة حين تقتل«٥»
ربت وربا في حجرها ابن مدينة يظل على مسحاته يتركّل «٦»
اذا خاف من نجم عليها ظماءة ، ادبّ عليها جدولاً يتسلسل «٧»

«١» السنيح : الذي يأتي من جانب اليمين . البارح : الذي يأتي من جانب اليسار . «٢» رعبل اللحم : قطعه لتصل اليه النار فتنضجه . فهو مرعبل «٣» المراح : من المرح : النشاط. الاخيل : من الخيلاء : الكبر «٤» النقا : ما ارتفع من الرمل . يتهيل : يتحدر «٥» قتل الخمرة :مزجها بالماء ، فازال بذلك حدتها «٦» ربت : الضمير للخمرة اراد بها الكرمة.ربا في حجرها: نشأ في كنفها .ابن مدينة: خادم . والمدنية : الامة . ويقال : ابن مدينتها وابي بجدتها: اي عالم بها . المسحاة : الآلة : التي تسحى بها الارض اي تسوّى . يتركل : يدفع برجله .

«٧» اذا خاف ..: اذا خاف عليها العطش من نجوم الصيف . الجدول : النهر الصغير .

ابو نواس

وداوني ..

دع عنك لومي فان اللوم إغراءُ وداوني بالتي كانت هي الداءُ
صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها لو مسّها حجرٌ مسّته سرّاء

. . .

قامت بابريقها والليلُ معتكرٌ فلاح من وجهها في البيت لألاءُ
فأرسلت من فم الابريق صافيةً كأنما أخذُها بالعين إغفاء
رقّتْ عن الماء حتى ما يلائمها لطافةً وجفا عن شكلها الماء
فلو مزَجتَ بها نوراً لمازجها حتى تولّدَ انوارٌ واضواء
دارتْ على فتيةٍ دانَ الزمان لهم فما يُصيبهُمو الا بما شاءوا
لتلك أبكي ولا أبكي لمنزلة كانت تحُل بها هندٌ واسماء
حاشا «لِدُرّة» ان تبنى الخيام لها وان تروح عليها الابل والشّاء
فقل لمن يدّعي في العلم فلسفةً حفِظت شيئاً وغابت عنك اشياء
لا تحْظُر العفو ان كنت امرءاً حرجاً
فان حظرَكهُ في الدين ازراء

ابنة العنب (١)

إصدعْ نجيَّ الهموم بالطرب   وانعمْ على الدَّهر بابنة العنب
واستقبلِ العيش في غضارته   لا تقفُ منه آثار معتقبِ «٢»
من قهوةٍ زانها تقادُمُها   فهي عجوزٌ تعلو على الحقب
أشهى الى الشَّرْب يوم جلوتها   من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلَّت ورقَّ جوهرُها   حتى تبدَّتْ في منظرٍ عجب
فهي بغير المزاج من شررٍ   وهي لدى المزج سائل الذَّهب
كأنها في زُجاجها قبسٌ   تذكو ضياءً في عين مُرْتقب
في فتية من بني أمية أهل المجد والمأثرات والحسب
ما في الورى مثلُهمْ ولا بهم   مثلي ولا منتمٍ لمثل أبي

الشراب واللهو

تداوَ من الصغيرة بالكبير   وخذها من يدي ساقٍ غرير
ودعني من بكائك في عراصٍ   وفي اطلال منزلة ودور
ولا تشرب بلا طرب ولهو   فان الخيل تشرب بالصفير
فليس الشرب الا بالملاهي   وفي الحركات من بَم وزير «٣»

«١» روى صاحب الاغاني هذه القصيدة للوليد بن يزيد على اختلاف يسير في الرواية «٢» المعتقب : العيش الذي تردد عليه واحد بعد آخر . «٣» البم: اغلظ اوتار العود. الزير: الدقيق من الاوتار.

خمر وورد

لا تبكِ ليلى ، ولا تطرب الى هند
واشرب ، على الورد ، من حمراء كالورد
كأساً اذا انحدرتْ في حلْق شاربها
أجدته حمرتها في العين والخد
فالخمر ياقوتة ، والكأس لؤلؤة
في كف جارية ممشوقة القد
تسقيك من طرفها خمراً ، ومن يدها
خمراً ، فمالك من سكرين من بد
لي نشوتان ، وللندمان واحدة ،
شيء خصصت به من بينهم وحدي

خمارة البلد

عاج الشقي على رسم يسائله وعجتُ اسأل عن خمارة البلد
يبكي على طلل الماضين من اسد لادردرك! قل لي: من بنو اسد
ومن تميم ، ومن قيس ، ولفها؟ ليس الاعاريب عند الله من أحد
لا جف دمع الذي يبكي على حجر
ولا صفا قلب من يصبو الى وتد

كم بين ناعت خمر ، في دساكرها
وبين باكٍ على نؤي ، ومنتضد «١»
دع ذا ، عدمتك ، واشربها معتقة
صفراء ، تفرق بين الروح والجسد
من كف مضطمر الزنار معتدل
كأنه غصنُ بان غير ذي أود
اما رأيت وجوه الارض قد نضرت
والبستها الزّرابي نثرة الاسد «٢»
حاك الربيع بها وشياً ، وجلّلها
بيانع الزهر ، من مثنى ومن وحد
واستوفت الخمر احوالاً مجرّمة ،
وافترّ عيشك عن لذاتك الجدد
فاشرب ، وجد بالذي تحوي يداك لها
لا تدخر اليوم شيئاً خوف فقر غد
يا عاذلي قد أتتني منك بادرة ،
فان تغمدها عفوي ، فلا تعد
لو كان لومك نصحاً ، كنت اقبله ،
لكن لومك موضوع على الحسد

«١» النؤي : الحفير حول الخيمة يمنع السيل . انتضدوا في مكان كذا: اقاموا واجتمعوا «٢» الزرابي: ج الزربي : مابسط واتكىء عليه . وهي من النبت : ما اصفرّ او احمرّ وفيه خضرة .

صلاة الى الخمر

أثنِ على الخمر بآلائها   وسمّها احسن اسمائها
لا تجعل الماء لها قاهراً   ولا تسلطها على مائها
كرخيّةٌ قد عتقت حقبة   حتى مضى اكثر اجزائها
فلم يكد يدرك خمّارُها   منها سوى آخر حوبائها
دارت فأحيت غير مذمومة   نفوس حرّاها وانضائها
والخمرُ قد يشربُها معشرٌ   ليسوا اذا عُدوا باكفائها

صفراء بيضاء

وصفراء قبل المزج ، بيضاء بعده
كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى العين تستعفيك من لمعانها
وتحسر حتى ما تقلّ جفونها

ابن الرومي

النبيـــذ وتحليـــله

احلّ العراقيُّ النبيـــذ وشربه
وقال: « الحرامان: المدامة والسكر «١»
وقال الحجازي : « الشرابان واحد »
فحلّت لنـــا بين اختلافهما الخمر «٢»
سآخذ من قوليهمـــا طرفيهما ،
واشربها لا فارق الوازر الوزر

مُـــدامة

ومدامة كحشاشة النفس — لطُفت عن الادراك واللمس
لنسيمها في قلب شاربهـــا — روح الرجاء ، وراحة اليأس
وتمدّ في امل ابن نشوتها — حتى يؤمل مرجع الأمس

«١» العراقي : ابو حنيفة .
«٢» الحجازي : الشافعي .

شفـــاء القلوب

تالله ما أدري بأية عـــلة
يدعون هذا الراحَ باسم الراح ؟
ألريحهـــا ولرْوحها تحت الحشا
ام لارتيـاح نديمهـا المرتاح ؟
ان حُرّمت فبحقهـا من خمرة
ما كان مثلُ حريمهـا بمباح
او حلّلتْ فبحقهـا من نشوة
تشفي سقام قلوبنـــا بيصحاح

لألاء يحترق

خمرٌ اذا مانديمي ظلّ يكرعها
اخشى عليـه من الـلألاء يحترق
لو رام يحلف أن الشمس ما غربت
في فيه كذّبه في وجه الشفق

ديك الجن

وجنة المعشوق

وحمراءَ قبل المزج ، صفراءَ بعده
بدتْ بين ثوبي نرجس وشقائق
حكتْ وجنة المعشوق صرفاً فسلطوا
عليها مزاجاً فاكتست ثوب عاشق

سكر هوى وسكر مدامة

خذ يا غلام عنانَ طرفك فاثنه
عني فقد ملك الشمولُ عناني
سكران: سكر هوى وسكر مدامة
أنّى يفيق فتى به سكران
ما الشأن؟ ويحك ، في فراق فريقهم
الشأن! ويحك ، في جنون جَناني

كتب الى محمد بن يزيد المعروف « بالمبرد » اللغوي الشهير يدعوه الى مجلس خمر :

يوم سبت وعندنا ما كفى الحر طعامٌ ، والورد منه قريب
ولنا مجلس على النهر فيّـا ح ، فسيح ، ترتاح فيه القلوب
ودوام المـدام يدنيك ممن كنت تهوى، وان جفاك حبيب
فأتنا ، يا محمد بن يزيـــد ، في استتار كي لا يراك الرقيب
نطرد الهمّ باصطباح ثلاث مترعات تنفى بهنّ الكروب
ان في الراح راحة من جوى الحـ ب ، وقلبي الى الاديب طروب
لا يرعك المشيب مني ، فأني ما ثناني عن التصابي مشيب

ذكرى خمرية

كل ماض انساه ، غير ليالٍ ماضيات لنا بـمارا وبنّى
مغرم بالمدام أترع كأساً ساطعاً ضوؤها ، وانسف دنّا
حيث لا ارهب الزمان ، ولا أا قي الى العاذل المكثّر اذنا
يزعم البرّ في التشدد ، والا سمح اولى بان يبرّ ويُدنى

زهرة الصهباء

إشرب على زهر الرياض يشوبه زهر الخدود وزهرة الصهباء
من قهوة تُنسي الهموم وتبعث الـ شوق الذي قد ضلّ في الاحشاء
يُخفي الزجاجة لونها فكأنها في الكف قائمةٌ بغير إناء
ولها نسيمٌ كالرياض تنفّست في أوجه الارواح والانداء
وفواقعٌ مثل الدموع تردّدت في صحن خدّ الكاعب الحسناءِ
يسقيكها رشأ يكاد يردّها سكرى بفترة مقلة حوراءِ
يسعى بها وبمثلها من طرفه عوداً وإبداءً على الندماء

ابو تمام

معسول الاماني

وكأس كمعسول الاماني شربتُها ولكنها اجلتْ وقدشربتْ عقلي
اذا عوتبت بالماء كان اعتذارها لهيباً كوقع النار في الحطب الجزل
اذا اليدُ نالتها بوتر توفّرت على ضيغنها ثم استقادت من الرجل

السروي

داء ام دواء

عُنيت بالمدامـــة الشمـراء   وصفوها ، وذاك عندي عناء
كيف تحصيل علمها وهي موتٌ   وحيـاةٌ وعلّةٌ وشفـاء
فهي في باطن الجوانح نارٌ   وهي في ظاهر المحاجر ماء
حلوةٌ مرة فما احد يـد   ري أداءٌ خصوصُها أم دواء؟

الوأواء الدمشقي

مدامة تنفي الهموم

فامزج بمائك نار كأسك واسقني   فلقد مزجت مدامعي بـدماء
واشرب على زهر الرياض مدامة   تنفي الهموم بعاجل السرّاء
لطفت فصارت من لطيف محلها   تجري كجري الروح في الاعضاء
وكأن مخنقة عليهـا جوهرٌ   ما بين نار أذكيتْ وهواء
وكأنها وكأن حامل كأسها   اذ قام يجلوها على الندمـاء
شمس الضحى رقصت فنقّط وجهها   بدرُ الدجى بكواكب الجوزاء

ابن المعتز

طاب الشراب

خليلي قد طاب الشرابُ المبرَّدُ
وقد عدت بعد النسك والعود احمد
فهات عقاراً من قميص زجاجة
كياقوتة في دُرّة تتوقّدُ
يصوغ عليها الماء شبّاك فضة
له حلقٌ بيضٌ تحلّ وتعقدُ

الذهب السائل

وخمارة من بنات المجوس ترى الدّنّ في بيتها شائلا
وزنّا لها ذهباً جامداً فكانت لنا ذهباً سائلا

فص ياقوت

الماء فيها كتابةٌ عجبٌ كمثل نقش في فصّ ياقوت

احمد الماردانى

دنياك ساعة

عاقرِ الراح ودَعْ نعت الطللْ
واعْص من لامك فيها وعذَل
غادها واسعَ لهـــا واغر بها
واذا قيل : تصابى ، قل أجل
انما دنيـــاك ـ فاعلم ـ ساعةٌ
انت فيها ، وسوى ذاك امل

لشاعر مجهول

جهنم الخمر !

لو كان لي مسعدٌ بالراح يسعدني
لما انتظرت لشرب الراح إفطارا
الراح شيء شريف انت شاربه
فاشرب ولو حملتك الراح اوزارا
يا منْ يلوم على الصهباء صافية
خُذِ الجنان ودعني أسكن النارا

ابو دُلامة

من الحانة الى السجن

شرب ابو دُلامة في بعض الحانات وسكر، فمشى وهو يميل، فلقيه العسَس فأخذه، فقيل له : من انت ؟ وما دينك ؟ فقال :

دِيني على دين بني العباس
ما خُتم الطين على القرطاس
اذا اصطبحت اربعاً بالكاس
فهل بما قلت لكم من باس

فاخذوه وخرقوا ثيابه وساجه (١)، واتي به الى ابي جعفر، فأمر بحبسه مع الدَّجاج في بيت .. فلما أفاق جعل ينادي غلامه مرّةً ، وجاريته اخرى فلا يجيبه أحد . وهو مع ذلك يسمع صوت الدجاج وزقاء الديك ، فلما اكثر قال له السجّان : ما شأنك ؟

قال : ويلك من انت ؟ واين انا ؟
قال : انت في الحبس .. وانا فلان السجان .
قال : ومن حبسني ؟

---

(١) الساج : الطيلسان .

قال : امير المؤمنين ..

قال : ومن خرق طيلساني !

قال : الحرس .

فطلب ان يأتيه بدواة وقرطاس ، ففعل . فأتاه .. وكتب الى ابي جعفر المنصور يقول :

امـير المؤمنين فدتك نفسي
علام حبستني وخرقت ساجي
أمن صهباء صافيـة المـزاج
كأن شعاعها لهبُ السراج
وقد طبخت بنار الله حتى
لقد صارت من النطف النضاج
تهشّ لها القلوب وتشتهيها
اذا برزت ترقرق في الزجاج
أقاد الى السجون بغير جرمٍ
كأني بعض عمّال الخراج !
فلو معهم حُبِستُ لكان سهلاً
ولكني حُبِستُ مع الدجاج
وقد كانت تُخبّرني ذنوبي
بأني من عقابك غيرُ ناج

على اني وان لاقيتُ شراً

لخيرك بعد ذاك الشرِّ راجي

فاستدعاه المنصور وقال : اين حبست يا ابا دُلامة ؟

قال : مع الدجاج ..

قال : فما كنت تصنع ؟

قال : اقوقيء معهم الى الصباح ٠

فضحك وخلّى سبيله وامر له بجائزة . فلما خرج قال الربيع : انه شرب الخمر يا أمير المؤمنين . اما سمعت قوله : وقد طبخت بنار الله ؟ « يعني الشمس » . قال : لا والله . ما عنيت الا نار الله الموقدة التي تطلع على فؤاد الربيع . فضحك المنصور وقال : خذها يا ربيع ولا تعاود التعرض له .

خمريات من الأندلس

« كانت الخمريات اكثر فنون الشعر ذيوعاً بين شعراء الاندلس ، وكانت عادة الشرب ان يجتمعوا على الكؤوس في البيوت او الرياض او على ضفاف الانهار ، كالوادي الكبير وإبرُه . ولم تكن مجالسهم مجرد اجتماعات للشراب ، وانما اجتماعات ادبية شعرية كذلك . وكان المجلس ينقضي بين تقارض الشعر وارتجاله ، يتخلل ذلك ـ بين الحين والحين ـ شدو جارية مغنيــة يصاحبها عزف العود والطنبور والقيثارة ، وتتوزع احاسيس السُمَّار بين زهر الاحلام وشطحات السكر ومشاعر الهوى » .

ـ تاريخ الفكر الاندلسي (١) ـ

. . .

(١) آنخل جنثالث بالنثيا ترجمة حسين مؤنس

للحفيد بن زهر

وقد نسبت خطأ الى ابن المعتز .

ايها الساقي

ايها الساقي اليكَ المشتكى
قد دعوناك ، وان لم تسمعِ

. . .

ونديمٍ همتُ في غُرّته
وبشرب الراح من راحته
كلما استيقظَ من سكرته
جذب الزقّ اليه ، واتّكا
وسقاني اربعاً في اربع

ابن حمديس الصقلي

عصير الخمور

وراهبة أغلقتْ ديرها   فكنا مع الليل زوارها
هدانا اليها شذى قهوة   تذيع لأنفك اسرارها
طرحت بميزانها درهمي   فاجرت من الدنّ دينارها

تفرس في شمها طيبهـا مجيـد الفراسة فاختارها
فتى دارس الخمر حتى درى عصير الخمـور وأعصارها
يعدُ لمـا شئت من قهوة سنيهـا ويعرف خمارهـا

لابن سهل

سل الكأس

سل الكأس تزهو بين صبغ واشراق
أذوّب فيها الورد ام وجنة الساقي
كؤوس تحييهـا النفوس كأنها
حديث الافق في مسامع عشاق
اذا قتلوهـا بالمـــزاج ليشربوا
اعاشوا مناهم بين موت واخلاق
تثور كأن الماء يلمـــع صرفها
فصوت المغني مثل هينمـــة الراقي

لابي حيان الغرناطي

عرفها عنـــبر

ان كان ليل داج وخاننا الاصباح فنورها الوهاج يغني عن المصباح
سلافة تبـدو كالكوكب الازهر
مزاجهـا شهد وعرفهـا عنـــبر
يا حبذا الورد منهـا وان اسكر

يحيى الغزال

وهو يحيى بن الحكم البكري لقّب بالغزال لجماله ، وكان رجلاً حكيماً ارسله عبد الرحمن الاوسط في سفارة الى ملك النرمانيين ، فاستمال قلوب الناس هناك بظرفه ، واعجبتْ به الملكة « تود » ونساء حاشيتها خاصة . « فكانت ـ اي الملكة ـ لا تصبر عنه يوماً حتى توجه فيه » . وقد الهمته هذه السفارة وغيرها الى بلاطات اخرى نصرانية اشعاراً لطيفة جميلة . وقد نفاه عبدالرحمن الاوسط من الاندلس بسبب هجائه المقذع لزرياب ، فذهب الى العراق بُعيد وفاة ابي نواس شاعر الخمر ولذاذات العيش في بلاد هارون الرشيد . وجلس يوماً مع جماعة منهم فأزروا بأهل الاندلس واستهجنوا أشعارهم ، فتركهم حتى وقعوا في ذكر ابي نواس فقال لهم :

من يحفظ منكم قوله   أذقنيها . .

ولما رأيت الشرب اكدتْ سماؤهم   تأبطت زقي واحتبست عنائي
فلما أتيتُ الحانَ ناديتُ ربه   فثاب خفيف الروح نحو ندائي
قليل هجوع العين إلا تعلّة   على وجل مني ومن نظرائي
فقلت : أذقنيها ! فلما اذاقها   طرحتُ اليه ريْطتي وردائي
وقلت : أعرني بذلة استترْ بها   بذلت له فيها طلاق نسائي
فوالله ما برّت يميني ولا وفتْ   له ، غير اني ضامنٌ بوفائي
فأبت الى صحبي ـ ولم اك آثباً ـ   فكل يعزيني وحق فدائي

فاعجبوا بالشعر وذهبوا في مدحهم له ، فلمـــا افرطوا قال لهم :

« خفضوا عليكم فانه لي ! » فانكروا ذلك . فانشدهم قصيدته التي اولها :

تداركت في شرب النبيذ خطائي
وفارقت فيه شيمتي وحيائي

فلما أتم السورة بالانشاد خجلوا وافترقوا عنه » .

ابن الزقاق

ادراهـا على الروض المندّى   وحكم الصبح في الظلماء ماضي
وكاس الراح تنظر عن حباب   ينوب لنا عن الحدق المراض
وما غربت نجوم الافق لكن   نقلن من السماء الى الرياض

المعتضد بن عباد

اصطباح

اشرب على وجه الصباح   وانظر الى نوْر الاقاح
واعـــلم بانك جاهل   إن لم تقل بالاصطباح

لشاعر اندلسي

باكر الى الخمر

باكر الى الخمر واستنشق الزهرا
فالعمر في خسر ما لم يكن سكرا
فقلما أسلو عن مرشف الاكواس
وساحر الطرف مساعد الجلاس
فسقيني بنت الرياحين

لشاعر قديم

أقم عذري فقد آن ان اعكف
على خمر يطوف بها أوطف
كما تدري هضيم الحشى مخطف
اذا ما ماد في مخضرة الابراد رأيت الآس بأوراقه قد ماس

ابن زمرك

ما اجمل الراح

قمْ فاغتنمْ بهجة النفوسِ
ما بين نوْرٍ وبين نورْ
وشفّع الصبحَ بالشموس(١)
تُديرُها بيننا البدور
ونبّه الشرْبَ للكؤوس
تُمزَجُ من ريقةِ الثغور

. . .

ما اجمل الراح ، فوق راح(٢)
صفراء كالشمس في الاصيل
تغادر الصدرَ ذا انشراحِ
الأنس في طيه مقيل

---

(١) شفعه : جعله شفعاً . اي زوجاً . الشموس : اي الخمر

(٢) الراح الاولى : الخمر . الراح الثانية : جمع راحة وهي باطن الكف

هات شمس الراح

قم نرى هذا الاصيل شاحباً　　حسنه قد راق
ولاذيال الغصون ساحبا　　في حلي الاوراق
ونديمٍ قال لي مخاطباً　　قول ذي إشفاق :
عادة الشمس بغرب تُختلَسْ　　هات شمس الراح
إن ارانا الجوّ وجهاً قد عبس　　أوقدِ المصباحْ
ووجوه الشرب تُغني عن شموس　　كلّما تُجلى
بلحاظ اسكرتنا عن كؤوس　　خمرُها أحلى
مظهراتٍ من خفايا في النفوس　　سُوراً تُتلى
ما زمان الانس إلا مُختلَس　　فاغتنمْ : يا صاح !

يحي القرطبي

أدر لنا اكواب

أدر لنا أكواب ،　　يُنسى بها الوجدُ
واستصحبِ الجلاّس.　　كما اقتضى العهدُ

• • •

دِنْ بالهوى شرعا　　ما عشت يا صاحِ
ونزّه السمعا　　عن منطق اللاّحي
والحكم ان يدعى　　اليكَ بالراح

• • •

انـامِلُ العُنَّابِ ، ونقلهـا الورد
جفا بصدغي آس ، يلويهـا الخـــد
لله أيّــــام دارت بهـا الخمر !
والروض بسّـام بالله القطــــر
وصلٌ وانعــام واوجـــهٌ زهر

من موشحة

لابن سناء الملك

مدام قديم

لا أريم عن شرب صهباء وعن عشق ريم
فالنعيم عيش جديد ومـدام قديم
لا اهيم الا بهذين فقم يا نـديم
وانهل من اكؤس صوّرن من صندل
افضل من نكهة العنبر والمندل

من موشحة

لصفي الدين الحلي

حياة النفوس

اسقنيها قهوة تكسو الكؤوس   بسنا الانوار
وتميت العقل إذ تحيي النفوس   راحة الاسرار
بنت كرم عتّقت عند المجوس   في بيوت النار
غرست كرمتها بين القيان   يد افلاطون
وبماء الصرح قد كان يطان   دنّها المخزون

شهاب الدين العزازي المشرقي

كؤوس الشراب

يا ليلة الوصل ، وكاس العقار
دون استتار
علمتماني كيف خلع العذار (١)

. . .

(١) خلع العذار : ترك الحياء واتباع الهوى .

فاغتنم اللذّات قبل الذهاب ،
وجرّ اذيال الصبا والشباب
واشرب،فقدطابت كؤوس الشراب
على خدودٍ تنبت الجلنّار (٢)
ذات احمرار
طرّزها الحسن بآس العذار

. . .

الراحُ ، لا شكّ ، حياة النفوس
فحلّ منها عاطلات الكؤوس
وافتضّها ، بين الندامى ، عروس
تُجلى على خطابها في إزار
من النضار
حبابُها قام مقام النثار (٣)

---

(١) الجلنار : زهر الرمان . (٢) النثار : ما ينثر في العرس للحاضرين من الكعك وغيره . وكان نثار العرب في عرسهم التمر

للقاضي الفاضل

عروس الدوالي

قضى نحبه الصوم بعد المطال   واطلق من قيد فتر الهلال
فدع ضيقةً مثل شدّ الاسار   الى فرجة مثل حلّ العقال
وقم هاتها مثل ذوب النضار   وموج البحار وطعم الزلال
جزى الله عني عروس الدوالي   ولا اخطأتها كؤوس العزالي(١)
بما اطعمت من لذيذ الثمار   وما البست من نسيج الظلال
وما سلسلت مذاب السرور   وما خفضت من جماح التغالي
فكم زخرفت جنّةً للعذاب   وكم رفعت قبساً للضلال
اغالط بالكأس حكم الزمان   فيومٌ عليّ ويوم بما لي
فجاءت بما في عيون النساء   ومرّت بما في رؤوس الرجال
وأسلو الغزال بها اذ ارى   بكاساتها دمَ ذاك الغزال

• • •

(١) العزالي : جمع عزلاء وهي مصب الماء من الراوية والقربة ونحوهما ، يريد بها عزالي السحاب . دعا لها بالسقيا بسبب انها تطعم الناس من ثمرها وتظلهم بعرائشها .

وسكران كرّر من سُكره زمانٌ على كل عقل ممال
فسكر الشباب وسكرُ الشراب وسكر الصدود وسكر الوصال
فلا تذكرنّ عهود الوصال فعهدي به والليالي ليالي
ولم ابك عهداً رجاء الرجوع ولكن اجدّده بالصقال

من خمور الصوفيين

ابن الفارض

شربنا على ذكر الحبيب مدامــــة
سكرنا بها من قبل ان تخلق الكرم
لها البدر كأس وهي شمس يديرها
هلال ، وكم تبدو اذا مزجت نجم
فلولا شذاها ما اهتديت لحانهــا
ولولا سناهـــا ما تصورها الوهم
ولم يبق منهــا الدهر غير حشاشة
كأن خفاها في صدور النهى كتم
فأن ذكرت في الحي أصبح أهـله
نشاوى ، ولا عار عليهم ولا اثم
ومن بين احشاء الدنان تصاعدت
ولم يبق منهــا في الحقيقة الا اسم
وان خطرت يوماً على خاطر امرىء
اقامت به الافراح وارتحــــل الوهم
ولو نظر الندمان خـــتم انـائهــا
لأسكرهم من دونهــا ذلك الختم
ولو نضحوا منها ثرى قـــبر ميت
لعادت اليه الروح وانتعش الجسم
ولو طرحوا في فيء حائط كرمها
عليلا ، وقد أشفى لفارقـه السقم

ولو قرّبوا من حانها مقعداً مشى
وتنطق من ذكرى مذاقتها البكم
ولو عبقت في الشرق انفاس طيبها
وفي الغرب مزكوم لعاد له الشمّ
ولو خضّبت من كأسها كف لامس
لما ضلّ في ليلٍ وفي يده النجم
يقولون لي صفها فأنت بوصفها
خبير : أجل عندي بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ، ولطف ولا هوى
ونور ولا نار ، وروح ولا جسم
على نفسه فليبكِ من ضاع عمره
وليس له فيها نصيب ولا سهم

من قصيدة

لعفيف الدين اليافعي

صاحب كتاب « روض الرياحين في مناقب الصالحين »

حميا الكأس

خليليَّ ما سلمى ونجد وما الحمى
وما راحها، ما كأسها، ما الهوى العذري
شربنا حميًّا الكأس في قدس حضرةٍ
وأكرمْ بها في حضرة القدس من خمر
لنا عُصرت من كرم نور جمال من
سقانا ، وقد غبنا وحرنا فما ندري
سكرنا بها من شمها قبل شربها
نشاوى بريّاها الى آخر الدهر
أو السكر ذا من رؤية الكأس أو أتت
به رؤية الساقي الينا ذوي السكر
تجلّى بأوصاف الجمال فشاهدت عيون قلوب ما به حار ذو الفكر
فيا ليلةً فيها السعادات والمُنى لقد صغُرتْ في جنبها ليلة القدر
فلما شربنا الراح في ساعة الرضا اتانا أغرّ السعد بالخلع الخُضر
رسول عنايات برسم ولاية وتصريفنا في المُلك في البر والبحر
وضاءت لنا انوار غيب وشوهدت امورٌ وأعلمنا بها انها تجري

عبد الغني النابلسي

انشودة الساقي

وهي من الاناشيد التي يهزج بها الصوفيون في حلقات الاذكار .

ساقي يا ساقي اسقيني من خمرة الباقي
واكشف لي عن قيد إطلاقي آه يا ساقي ، آه يا ساقي

استاره راحت عن عيني ، والزهرة فاحت
والسكرة بالاسرار باحت آه يا ساقي ، آه يا ساقي

اكشف لي عنّك في ذاتي وافتح لي دنّك
واجعلــــني يا حبي انـك آه يا ساقي ، آه يا ساقي

افتح لي باب الحان واسمعني من طيب الالحـان
وارشفني من كاسي الملآن آه يا ساقي ، آه يا ساقي

من يشرب يسكر من خمري لما يتفكر
والمغرور في علمـه أنكر آه يا ساقي ، آه يا ساقي

لا يعرف أمري إلا من يشرب خمري
احشاؤه تصلى في جمـري آه يا ساقي ، آه يا ساقي

الشيخ عبد الغني النابلسي

جاء الربيع فقمْ لشرب الراح　هذا زمان اللهو والافراح
مستصحباً صهباءَ صافيهً اذا　برزت بليل خلتُه كصباح
عذراءترقص في حجور كؤوسها　كترقّص الارواح في الاشباح
باكرْ صبوحك للمدامة انها　شَركُ السرور وآفة الاتراح
واسجدالى الحاناتوار كع نحوها　وَصلِ النديم وصلّ للاقداح
اشرب على نغمــــة الهزار　وسلّم الهـــمّ للعقـار
فالوقت قد راق حيث رقّت　نسائمُ الورد والبهـار
صِلْ صبحاك الوضاح بالديجور　واشرب على النايات والطنبور
واملأ وهاتدهاـ كأسك واسقـ　ني كي تنطفي نارُ الاسى بالنور
صهباءَ حاربت الهموم وصاحبت　في الكأس كل تطرب وسرور
في روضة غناءَ باكرها الندى　كالدر منظوماً على المنثور
هذا هو العيش الهني وهذه　النعماء ان جادت يد المقدور

الشيخ مصطفى ابو ريشة البقاعي

يا مصدر الارواح　ومظهر الاشباح
قـد شقّ فجري　من نيل هجري
ان جدت بالمفتاح
خمر الصفا قد راق　بمشهد الاطـلاق
والحـب أسفـر　عن عقد جوهر
من نوره الوضّاح

كأس الحميّا دار بوصل رب الدار
وطاب سكري لطيب شكري
ودامت الافراح
من رشف ثغر الكاس بمحفل الايناس
بدري تجلّى لما تدلّى
بالبشر والاصلاح
لاحت بروق الذات بمنهل اللذات
وذاب جسمي بمحو رسمي
وليل هجري زاح
صبح الهدى قد بان من فيض ذي الاحسان
إدخل لحاني واجل الاواني
واشرب بلا اقداح
صاحت طيور الواد بحيّ ذاك الناد
قد فاح عرفي من لطف صرفي
ودنّ خمري ارتاح
يا سر كنز الله يا صفوة الاله
مغناك قلبي معناك شربي
من كوثر الفوّاح (١)

---

(١) عن كتاب اللطائف الروحية لابناء الطريقة الشاذلية اليشرطية ص ٢٦١

خمريات من الشعر المعاصر

احمد شوقي

سلطان المدامة

رمضان ولى هاتها يا ساقي   مشتاقةً تسعى الى مشتاق
ما كان اكثره على ألافها   واقلّه في طاعة الخلّاق
الله غفّار الذنوب جميعها   إن كان ثمّ من الذنوب بواق
بالأمس قد كنا سجيني طاعةٍ   واليوم مَنَّ العيد بالاطلاق
ضحكت الي من السرور ولم تزل   بنت الكروم كريمة الاعراق
هات اسقنيها غير ذات عواقب   حتى نراع لصيحة الصفّاق(١)
صرفاً مسلّطةً الشعاع كأنما   من وجنتيك تدار والاحداق
حمراءَ او صفراءَ إن كريمها   كالغيد ، كل مليحةٍ بمذاق
وحذار من دمها الزكي تريقه   بكفيك يا قاسي دَمُ العشاق
لا تسقني الا دهاقاً إنني   أسقي بكأسٍ في الهموم دهاق(٢
فلعلّ سلطان المدامة مخرجي   من عالم لم يحوِ غير نِفاق

---

(١) الصفاق : الديك .
(٢) الدهاق : من الكؤوس الممتلئة .

راحة النفوس

حفَّ كأسها الحبَبُ   فهي فضةٌ ذهب (١)
او دوائرٌ دُرَرٌ   مائــج بها َلبَب(٢)
او فم الحبيب جــلا   عن جمانه الشنب (٣)
او بـــداه باطنها   عاطـــلٌ ومختضب
او شقيق وجنتــه   حين لي به لعب (٤)
راحة النفوس ، وهل   عند راحـــة تعب ؟
يا نديم خفَّ بهــا   لا كبا بك الطرب
لا تقـــل عواقبُهــا   فالعواقب الادبُ
تنجلي ولي خُلُقٌ   ينجـلي وينسكب
يرقب الرفـــاق له   كلما سَرى شربوا

---

(١) الحبب : الفقاقيع التي تعلو الخمر .
(٢) اللبب : موضع القلادة من الصدر .
(٣) جلا : اي كشف . والجمان : اللؤلؤ . والشنب : عذوبة الاسنان .
(٤) الشقيق : واحدة شقائق النعمان . وهي أزاهر حمراء فيها بقع سوداء ..

اسماعيل صبري

اسقنيهـا

أطلع الكاس كوكباً في ازدهاء	وأدِرْها في هالة الندماء
اسقنيها حتى تراني لا أو	هـم نصحاً يملـه إصغائي
عاطنيها صرفاً ولا تطفىء النو	ر الذي زان حسنها بالماء
وأدرها خدّا وحيّ الندامى	بعذار الريحان واغنم ثنائي
مجلسٌ فيه ما جلا صدأ السّم	ع وقرّت به عيون الرائي
من مُغنٍّ يغزو الهموم بأوتا	ر فيحوي أعنّـة الاهواءِ
وغزالٍ أحلى من الامن يسعى	بكؤوس الغرام والصهباء
مذ رأت خدّه المُدامُ علاها	عرقٌ من حبابها للحياء
هل رأيت الورد النضير على الغصن	تحلّى بلؤلؤ الانداء

حافظ ابراهيم

ذكرى مجلس شراب

فتية الصهباء خير الشاربين   جددوا بالله عهد الغائبين
واذكروني عند كاسات الطلا   إنني كنت امام المدمنين
واذا ما استنهضتكم ليلةً   دعوة الخمر فثوروا أجمعين
ربّ ليلٍ قد تعاهدنا على   ما تعاهدنا وكنّا فاعلين
فقضيناه ولم نحفل بما   سطّرت ايدي الكرام الكاتبين
بين اقداحٍ وراحٍ عُتّقت   ورياحين وولدان وعين (١)
وسقاة صفّقت اكوابها   بعضها البلّور والبعض لُجين
أنست منّا عطاشاً كالقطا   صادفت ورداً به ماءٌ مُعين
فمشت بالكاس والطاس لنا   مشيةَ الافراح للقلب الحزين
وتواثبنا الى مشمولة   ذات الوان تسرّ الناظرين
عمد الساقي لان يقتلها   وهي بكرٌ أحصنت منذ سنين
ثمّ لما ان رأى عفّتها   خاف فيها الله ربّ العالمين
واجلنا الكأس فيما بيننا   وعلى الصهباء بتنا عاكفين
وشفينا النفس من كل رشاً   نطقت عيناه بالسحر المبين
وطوى مجلسنا بعد الهنا   وانشراح الصدر تكبير الاذين ٢

---

(١) العين : جمع عيناء وهي الغادة الواسعة العين .
(٢) الأذين : المؤذن .

هكذا كنّا بأيام الصّفا   ننهب اللذّات في الوقت الثمين
ليت شعري هل لنا بعد النوى   من سبيل للّقا ام لات حين

ندمان الانس

أوشك الديك أن يصيح ونفسي   بين همّ وبين ظن وحدس
يا غلام، المدام والكاس والطا   س وهيء لنا مكاناً كأمس
أطلق الشمس من غياهب هذا الد   ن واملأ من ذلك النور كأسي
وأذن الصبح ان يلوح اميني   من سناها فذاك وقت التّحسي
وادعُ ندمان خلوتي وائتناسي   وتعجل واسبل ستور الدمقس
واسقنا يا غُلامُ حتى ترانا   لا نُطيق الكلام الا بهمْس
خمرة قيل إنهم عصروها   من خدود الملاح في يوم عرس
يا نديمي بالله قُلْ لي لماذا   هذه الخندريس تدعى برجس؟
هي نفسٌ زكيةٌ وابوها   غرْسُه في الجنان اكرم غرس

بشاره الخوري

ـ الاخطل الصغير ـ

الهـــوى والخمر

فتنُ الجمـال وثورة الاقداح صبغتْ اساطير الهوى بجراحي
وُلدَ الهوى والخمر ليلة مولدي وسيحملان معي على ألواحي
قد عشت بينهما على نغم الصبـا كفراشة علقتْ بُندِيّ أقاح
اشتف روحها وأعطي مثلها روحاً وأسلمُ ليلـــتي لصباح

. . .

انا لا أشيّعُ بالدموع صبابتي لكن ألف جناحها بجناحي

الشاعر والخمر

كذبَ الواشي وخاب من رأى الشاعر تاب
عمْرُه فجر من الحـ ـب وليلٌ من شراب
كيف اصحو ؟ خمرتي من شفتيكِ
والمـــني تضحك لي في ناظريك
وانـاشيد الهـــوى في أذنيك
همسات القطر بـــل رفات أيك
غنّني يا بلبلي واسقني يا جدولي الليالي الحمر لي يا سليمى
كذب الواشي وخاب

بأبي انت وأمي

اسقنيها بأبي انت وأمي لا لتجلو الهمّ عني، انت همي

إملاءِ الكأس ابتساماً وغراما
فلقد نام الندّامى والخزامى
زَحم الصُبحُ الظلاما فالاما

قم ننهنه شفتينا ونذوّب مهجتينا رضي الحب علينا
يا حبيبي

بأبي انت وامي اسقنيها لا لتجلو الهم عني، انت همي

صبُها من شفتيكْ في شفتيا
ثم غرّق ناظريك في ناظريا
واختصرها ماعليك او علّيا

ان تكن انت انا وجعلنا الزمنا قطرة في كأسنا
يا حبيبي

بأبي انت وأمي ، اسقنيها لا لتجلو الهم عني، انت همي

حكمة الدهر ان نعيش سكارى

حكمة الدهر ان نعيش سكارى فاجمعا لي الكؤوس والاوتارا
واجلواها دُنْياً ممتعة الحسـ ـن كما تجلوان احدى العذارى
هي كالورد تحمل الشوق والعطـ ـر وان خيّر الحبيبُ اختارا
كلنا كلنا نجاذبها الوصـ ـل ونجني اللذائذ الابكارا
انما ذاك يرفع الصوت في النا دي وهذا يلقي عليها ستارا
فانهب العيش لا أبا لك نهباً واطرح عنك وجهك المستعارا
لستَ مهما عُمرتَ غير جناح حطّ في الدّوح لحظة ثم طارا

آه ما احلى الحميّا

آه ما احلى الحميّا تحت اذيال السكون
والهوى يوحي اليّا برسالات العيون

خليل مردم بك

سكران وسكرى

لو رأيت الكأس والوجه الصبيحا
لم تلمْ في الراح من يعصي النصيحا
تركت في كأسها لي قُبلةً
طابت الراح بها طعماً وريحا

أرسل الابريق شؤبوب سنا فاذا اقداحنا قوس قزح
كشعاع الشمس لالآءً فهل بعث النور ام النار قدح
صعّد الزفرة حرى وبكى حينما اهوى على ثغر القدح
كمحبين فمٌ زفّ فماً علت الانفاس والدمع سحّ
غصّ بالشهقة لما ارتدّ عن شفة الكأس وبالدمع الملح

راعف المنقار خفاق الحشا
من رآه خاله طيراً ذبيحا
وهي كالجذوة تنزو مرحا
فذر الماء يرض منها جموحا

رامها ابن المزن فاستحيت فما   مسّها حتى تغشاها حجاب
صافيان امتزجا فا ستبترا   هكذا الماء على الشمس سحاب
هل رأيت النار يعلوها دخان   ابيض والشمس يغشاها ضباب
بسمت حتى ثناياها بدت   لا تخل ان الذي يطفو حباب
أصبحت بابن السما مثل السما   كوكب يبدو وينقضّ شهاب

عبقت في الكأس من انفاسها
نفحة تهدي الى الندمان روحا
وهي قبل المزج تحكي رقة
أدمع «العذراء» اذ تبكي «المسيحا»

قد رفعناها نحيي بعضنا   وقرعنا بعد ذا كأساً بكاس
وتعاهدنا على «السرّ» وما   أضيع «السرّ» على انفاس حاس
وعلى اسم «الحب» كانت نهلةٌ   تغمض العين وتغري بالعطاس
ثم ثنينا فساغت سهلة   راضها التقبيل من بعد شماس
انبتت في كل خدٍ وردةً   ورمت في كل عينٍ بالنعاس

ومن الالسن حلّت عقداً
هكذا تجعل من عي فصيحاً
ارهفت حساً وهاجت شجناً
وبها جوّ المنى امسى فسيحاً

أيقظت عاطفـــة وثابـة ورمت جفناً وجسماً بالفتور
هانت الدنيـــا على شاربها لا تساوي عنده شروى نقير
هي لولا الكأس لا معنى لها دارت الدنيا على كف المدير
كلما قبّلهـا هـام بهـا فحساها بصغير وكبـير
أي شيء تبعث الراح بـه من امان ونعـيم وسرور

ضمّ من اجفـانه مستثبتاً
اذ رأى احلامه تجلى وتوحى
السما دير رؤى سحريـة
فاتخذ كأسك «شقاً» و«سطيحا»

يا رضيع الكأس افديك اخاً في رضاع الكأس قربى ورحم
آخت الخمرة فـــيما بيننـا بلبان وبروح وبـــدم
اي ام بذلت من قبلهـا لبنيها كل هذا اي أم ؟
حملت من كل منْ ترضعه عنت الطفل ولو كان هرم
طفّلته فانتشى حـتى انتهى للكرى ينعم بالطيف الملمّ

كلما هشّت اليـــه زادها
ـ ديدن الطفل ـ قطوبا وكلوحا
ايها الناعم بالاحلام هل
عبّرتها الراح تعبيرا صحيحاً ؟

وأليفين كما شاء الهوى والصبى جنّت به حبا وجنّ
هي كالطاووس من زهو الصبى وهو من غلوائه مهرٌ أرنّ
يزهرُ البدر على جبهتها وعلى وفرته الليل يجنّ
فتنتْ حسناً وراقتْ زينة يكمل الحسن اذا واتاه فنّ
فترى الزخرف في حلّتها نوره ينهلّ كالغيث الهتن

فاذا ما اسرعت في مشيها
عجّ كالشلال ينصبّ دلوحا
حالة اغرت بما قد سترت
حين زادت حسن ما ابدت وضوحا

تركت من حاجبيها اثراً مرهفاً والسيف ان دق مضى
وعلى اجفانها من كحلها ظلمة من بينها النجم أضا
انما الحمرة في مبسمها قبلة حرّى حكت جمر الغضا
في يديها وعلى اقدامها مهج سالت ، ودمع غيضا
ارأيت العاج قد قمعه وهج الياقوت او شمعاً مضا

رف طير الحلي في لبتها
يبتغي في صدرها ركناً مريحا
عشيت مرآتها من طول ما
قابلت من وجهها برقاً مليحا

مالت الخمر بأعطافهـــما   من رأى غصناً على غصن يميل
الهوى يقظان صاح والنهى   غاله من سورة الصهباء غول
شوّشت وفرته لما رأت   رأسه ما بين ثدييها يقيل
قسماً بالطرف يرنو فاذا   طرفه من شدة السكر كليل
يا لمخمورين ملتفـــين لم   يع كل منهما ماذا يقول

نضبت كأسهما فاستسلمـــا
ثم قامـا بعد لأي ليروحا
اشبها الميزان ما من طرف
شال الا طرف كان رجيحا

بلغـا بعد اللتيـا والتي   غرفة فيهـا الهوى تاه أمور
هبت الاشباح من رقدتها   حينما أوقظ في المشكاة نور
التماثيل بهـــا عريانـة   والدمى ، والزهر نظم ونثير
اطبق الباب فمـا خلفهما   فهما كالسر يحويـه ضمير
والكرى قد اغمضت اجفانها   حينما ضمّت عليهن الستور

والكراسي فاتحات اذرعاً
وصدوراً لقا والاحباب فيحا
واحمرار النـــور في ظلمته
مؤذن ان له جفنا قريحا

وهما برح اشتياق في سعير　　لشميم الخلد في ذاك السرير
من رأى «الزهرة» في عريتها　　والذي تهوى على مهد وثير
رفّت الكلّة بشراً واحتفى　　بهما المهـــد بخفق وصرير
اسلم المصباح جفناً للكرى　　وغفـا رغم شهيق وزفير
ودّ كل منهما لو ظلّ في　　نومه هذا الى يوم النشور

لا يبالي عاشقان اعتنقا
أسريراً نزلاه ام ضريحا
فاغفر اللهم زلات الصبى
وتقبّل توبة منا نصوحا

عمر ابو ريشه

كأس

يروى ان ديك الجن الحمصي قتل جاريته الحسناء حباً بها وغيرة عليها ، وجبل من بقايا جثتها المحروقة كأسه . وكان ينشد بين شربه وبكائه ابياتاً من الشعر ، منها :

أجريت سيفي في مجال خناقها ومدامعي تجري على خديهـا
روّيت من دمها الثرى ولطالما روّى الهوى شفتيّ من شفتيها

وقد تناول الشاعر ابو ريشه هذه المأساة فوصف نزواتها على ضوء الكأس بهذه القطعة التصويرية :

دعها ! فهذي الكأس ما مرّت على شفتي نديم
لي وقفـةٌ معهـا امام الله في ظلّ الجحـيم
دعها !! فقد يشفيك فيها لفحـة البغي الرجـيم
وتنفّسُ الشبح الشقي على جذى حب أثـيم
مالي أراك تطيـل فيّ تأمل الطرف الرحيم
الخالي اهذي ؟ وخمري صحوة القلب الكليم
إشرب ! ولا تترك جراح السرّ تعوي في رميمي !

. . .

كانت تغنيني ، وكنتُ احسّ بالنعمى تغـــني
هيفـاء ، لم يبلغ مدى إغرائها وهمـــي وظني
كيف ارتضت دنياي دنياها على قلـــقٍ وأمن
كيف استقت حبي وقصَّت فيـه اجنحة التمنيّ !
ما غرّها مني ؟ وماذا أبقت الايـام مـني
الشيب مرّ بهـــتي واقام في عجزي ووهني !
والشوق احلامٌ مخضبة تموت وراء جفـني !

. . .

نادى هواها ، فالتفت وما رددت له جوابـا
وشبابها الظمآن ، بـين يديّ يستجدي السرابا !
فوجمت ! مجروح الرجولة اخفض الطرف اكتئابا
ورجعت للاكواب، املأها على غصصٍ شرابـا
واعبّها حُمّى من الاهواء تصطخـب اصطخابـا
فاذا دمي ، في مثل وهج الجمر ، يلتهب التهـابـا
والنجم، اسطع ،وهو يهوي عن سمـاوته اغترابـا

. . .

مالتْ علـيّ وطرفها في يأسه يتضرع
وعبيرها ، ما سال من صدر الربيع ، وأمتع
فضممتها ، فتنهدتْ غصصٌ ، وصكت أضلع
هي نشوةٌ ، لم يبق لي من بعدها ما يُطمع
كم ظبية قعدت بعبء جراحها تتوجع
لما رأت في خشفها الجوعَ الملحّ يروّع
زحفت ، لترضعه ، وماتت وهو باقٍ يرضع ! !

• • •

نامت ! وخلف نديّ جفنيها .. حياةٌ تحلم !
طوراً تقطّب حاجبيـ ـها تارة تتبسّمُ
وعلى ارتعاش شفاهها الحمراء ، بوحٌ مبهم !
فدنوتُ اصغي ، علّها في همسة تتلعثم !
ورجفت ... خشية ان تطالعني ، بما لا اعلم
ورجعت امشي القهقرى وجوانحي تتضرم
وعلى خطاي ، أرى بقايا سلوتي تتحطم ! !

• • •

نامت ! وجنح الليل جُنّ ... وغيرتي الهوجاء غضبى
أنا لن اعيش غداً فأروي ... قلبها الظمآن حبا !
من أين ؟ والدنيا طوت ... اظلالها الفيحاء وثبا
ومراكب الايام ، شقّت ... جبهتي درباً فدربا !
نامت ! واشباح الغد ... الباكي ، أدفعهنّ رعبا !
أيضمّ غيري، هذهالنعمى! ... متى وسدّت تُربا !
ويحي ! لقد جفّ الرضى ... رطباًوضاق الكون رُحبا!

. . .

قبّلتها ! والليل ينفض ... عنه اسرابَ النجوم
ومدامعي تجري، وكفّي ... فوق خنجري الاثيم
هي وقفة رعناء ، ضاق ... بهولها حلم الحليم
فحملتُ شلو ضحيتي ... والنار حمراء الاديم
وجبلت من تلك الجذى ... كأسي ، ومن تلك الكلوم
وغداً أحطمها ، امام ... الله في ظلّ الجحيم
فاشرب ، ودعها ، فهي ما ... مرت على شفتي نديم !

ايليا ابو ماضي

الخمر والدنيا

يشربُ بنتَ الكرم بعض الناس ... لكربةٍ في النفس او وسواس
وبعضهم لأنه قد ظفرا ... وبعضهم لأنه قد خسرا
وبعضهم لأنه في فرحٍ ... وبعضهم لأنه في ترحٍ
وبعضهم كي يستردّ الأمسا ... وبعضهم يجرعها كي ينسى
وبعضهم ليستفيدَ قوّه ... وبعضهم لسورة الفتوه
وبعضهم كيما يحل مشكله ... وبعضهم لعلّه يرضي السوى
وبعضهم عن رغبة وعن هوى ... وبعضهم لانه لا شغل له
وبعضهم من حبّهِ للبائع ... وبعضهم نكاية المانع
وبعضهم يشربها احياناً ... وبعضهم في اي وقت كانا
وبعضهم مع صحبه في الدار ... وبعضهم في حانة الخمّار
وبعضهم مع زمرة الندمان ... وبعضهم في وحدة الرهبان
وبعضهم في الصيف ذي الرمضاء ... وبعضهم في زمن الشتاء
وبعضهم عند انجياب الظلمه ... وبعضهم عند طلوع النجمه
وبعضهم يذمها استهجانا ... وبعضهم يمدحها استحسانا
لكنهم كلهمُ يحسوها ... المادحوها والمقبّحوها
فما وجدتُ في زماني رجلاً ... وقلت : هل تحبها ؟ فقال : لا
وسرّ هذا انها كالدنيا ... تؤذي ولكن مع اذاها تهوى

لم يبق غير الكاس

لم يبق ما يسليك غير الكاس　　فاشرب ، ودع للناس ما للناس !
ذهب الشباب على الشجون تبثها　　لأخٍ مؤاسٍ او لغير مؤاسِ
وعلى الحياة تحار في اطوارها　　وتحارُ في تعليل كل نطاسي
ثم استفقت وليس في روض المنى　　الا الضباب وغير شوك الياس
وجراح نفسٍ ينظر الآسي لها　　فيعود محتاجاً لآخر آس
الحس مجلبة الكآبة والاسى　　قمْ ننطلق من عالم الاحساس

. . .

ومنها :

إن اللذاذات التي ضيّعتها　　رجعتْ اليك عصارة في الكاس
فاصبغ رؤاك بها تعد ذهبيةً　　عطريةَ الالوان والانفاس
واخلُق لنفسك بالمُدامة جنَّةً　　في الاربُع المهجورة الادراس

. . .

يا ايها الساقي ادرْ كاساتها　　كمشاعل الرهبان في الاغلاس
وانس الهموم فليس يسعد ذاكرٌ　　واسق النجوم فانها جلاّسي
واصرع بها عقل النديم ولبّه　　ما نغّص الحاسي كعقل الحاسي

وله ايضاً

تعالى نتعاطاها كلون التبر أو اسطع
ونسقي النرجس الواشي بقايا الروح في الكاس
فلا يعرف من نحن ولا يبصر ما نصنع
ولا ينقل عند الصبح نجوانا الى الناس

جورج صيدح

الكوكتيل على الشاطىء

خطر الساقي ، فقلنا هاتها   نحن نرضاها على علاتها
رب كأس زاد في لذاتها   اثر الافواه في حافاتها
هاتها

طف ولا تمسح عن الكأس الخضاب   طبعته شفة الخود الكعاب
ان مززناه سكرنا بالرضاب   قبل ان نسكر من مزاتها
هاتها

هاتها ، ذوب لجين وذهب   سلطوا الثلج عليها فالتهب
خفخفوه فتلوى وانسكب   كسموط بعثرت حباتها
هاتها

جمعوا الاضداد من شتى الخزر   واداروا الحرب في طاس تدور
فاذا « الكوكتيل » يطفو ويفور   فوران النفس في هباتها
هاتها

هاتها تعكس اشباح الغروب   في خليط من عصارات تروب
كلما غص بها حلق الطروب   طلب التكرار من غصاتها
هاتها

ما لنا يحلو لدينا مرّها ؟ تلك دنيانا ، وهذا سرها
ما سبانا نفعها بل ضرّها ويل من ينفر من ويلاتها
هاتها

لا تقل ولّى زمان الطيبات دونك البحر ، وهاك الغانيات
لم يزل في الرأس كوكتيل الحياة طافح الكأس ، بتذكاراتها
هاتها

هاتها ، وارفع بها عبء السنين عن كهول مرحوا كاليافعين
انما « الساعة » عند العارفين ساعة الكوكتيل في ميقاتها
هاتها

شكر الله الجر

نعم النديم

هاتها شعّاعة كالشمس في كاس الغيوم
وأدرها ـ ان في الخمرة اسرار الكروم
ليس للمهموم مثل الخمر ما يذكي الهموم !
انني في الهمّ احيا فهو لي نعم النديم
فاتبع الجرعة بالجرعة حتى لا افيق
لا أرى في الناس كالهمّ نديماً ورفيق .!

الشاعر القروي

عللاني

عللاني بالكاس إثرَ الكاس   واسقياني حتى تطير حواسي
لست شيئاً ان لم أدع عمرَ الخيام   خلفي في شربها والنُّواسي

اجود الخمر

اذا ما رفاقي ادارو الكؤوسَ   وصبوا اللهيبَ على الاكبدِ
ترضَّبت فاكِ وليس من الذوق   شرب الرديء من الجيّد

ادب الشارب

لعنَ الله السياسه ْ   انهـا أصل التعاسه
خلق الجاهل معنياً   بما يوجـــع راسه
مقعدٌ بين البساتين   ولا دستُ الرياسه
فدعوها لذويهـا   واجلسوا كلّ وكاسه
كل مال الارض لولا   الكيف لا يسوى نحاسه

والحياة الحب والمتـ عة والباقي كناسه
لا تكن ظلاً ثقيلاً بين ارباب الكياسه
وانتهب يومك من كـ ـفّ غدٍ ينوي افتراسه
انا لولا العيب أنسيـ ـت ابن بغداد « نواسه »
غير اني ان حببت الـ شيءَ احسنت التماسه
ادبُ الشارب الا يعدو الطبع قياسه
اين طعم الراح ممن عطّل السكر حواسه

نسيب عريضه

اشرب وحيدا

رفعت كأسي حين لجّ الهوى واستعمصت الاشجان في راسي
وصحتُ مغروراً بطيش الصبى اين الندامى ؟ اين جلاّسي ؟
فـلم يجبني أحـد منهم سوى الصبا مرّت بانفاسي
وجاوبتني بلسان الصدى وللصدى رهبةُ ايجـاس :
ـ اشرب وحيداً ايها ذا الفتى او صمْ عن اللذة في الطاسِ

فخري البارودي

ذوب الضياء

سهرنا ليلة مع بعض الاصحاب،واصبح الصبح والسكر آخذ بنواصينا، وداومنا الصبوح الى ما قبيل الظهر فقلت وقد صرعني الخمار :

من يسقني ذوب الضياء مشعشعاً ينقذ فؤادي من عميق خماري
اني قضيت الليل أشربها الى ان فرّ ليلي من جيوش نهاري
ما دام خمركم حراما في الدنا خمري حلال :فاشربوا في داري
داري: جنان الخلد تحسد روضها لمجالس الندمان والسمّار
وطواف اسراب السقاة بخفة يزهون زهو الزهر في آذار
فاذا شربت بجنّتي مع رفقتي من كف ساق محكم الزنار
من ثغره خمري ، ومن الحاظه سكري ، ومن بسماته اشعاري
ماذا يضير المسلمين بحقكم وعلام خص الخمر بالكفّار
والله قد وعد التقاة بجنة فيها الذي يرجون من أوطار
فيها الخمور واي خمر عتّقت من سالف الازمان والادهار

فيعب منها الجاهلون لقدرها　من لم يذقها قطُّ في الاعمار
من كفّ ولدان تألق حسنهم　كاللؤلؤ المنثور فوق نضار
في لـــذة ما مثلها من لذة　هزئت بـــكل مدجل ثرثار
وانا الذي أدري حقيقة كنهها　أبقى بذي الدنيا بغير عقار ؟
لا والذي خلق الكروم وبنتها　ما عفتهـا ، والعفو للغفار
ربي الذي وعد التقاة بشربها　في جنة الفردوس من انهار
حاشاك ربي ان تعذب مؤمناً　سبق التقاة بشربها ـ في النار



الفهرست

الناشيء

٧ ـ أ ١ / ١ ـ ١٩٦٣

مطبعة [illegible] بحلب

الناشيء

السعر ٢٥٠ غ. س. او ما يعادلها